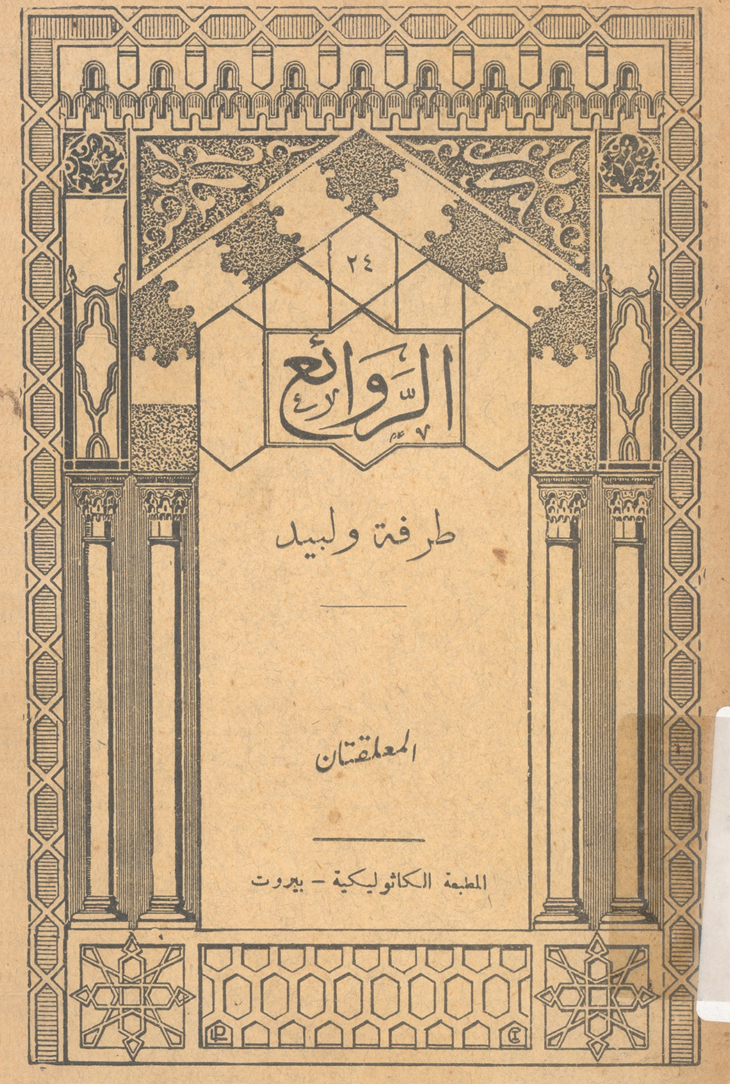


٢٤

الروائع

طرفة ولبيد

المعلقتان

المطبعة الكاثوليكية - بيروت

الروائع

آراء الادباء من شرقيين ومستشرقين (تابع)

رأي ناقد للاستاذ رفائيل بطي

قال في مقدمة مقال طويل حلّل فيه ستة اجزاء من «الروائع» (١٠—١٦) :

«كتبت مقالاً في احدى المجلات البغدادية قبل مدة اعرّف القراء بمؤلف مبتكر قام بتأليفه الاستاذ فؤاد افرام البستاني الباحث الادبي القدير باسم «الروائع» يحلّل فيه باسلوب علمي موجز الشخصيات البارزة التي تركت اثراً بليغاً في الفصاحة العربية. وذكرت من اجزاء كتابه تسعة.

«وقد ظل المؤلف يواصل اصدار الاجزاء الباقية من خزانته الطريفة، وبين يديَّ ستة من الاجزاء الجديدة وهي تحاكي سابقاتها من حيث الاسلوب والتدقيق في البحث وايراد المختارات الشائقة. والحق يقال انها افضل طريقة لتخريج النشء في الادب العربي.»

جريدة العراق، بغداد، ٦ ك ١ ١٩٢٨

رأي الاستاذ بشاره الخوري

«الروائع فصول يستقل كل واحد منها بكبير من شعراء العربية وعلمائها يصدرها حضرة الاستاذ القدير فؤاد افندي افرام البستاني بعد ان يتناول الشاعر او العالم الذي يدرسه من جميع نواحيه، مستعيناً على ذلك بفكرة نيّرة، وكفاءة مشهودة، ومراجعات عدة. حتى جاءت «روائعه» ارقى درس عن الاشخاص الذين يدرسهم، تغني الطالب عن كثير من المجلدات.»

البرق، بيروت، ٦ آب ١٩٣٠

طرَفة ولبيد

المعلّقتان

درس ومنتخبات

بقلم

فؤاد افرام البستاني

استاذ الآداب العربية في كليّة القديس يوسف

المطبعة الكاثوليكية . بيروت

١٩٢٩

طرفة بن العبد

٥٤٣؟ - ٥٦٩؟

شاعر شاب اعاش قليلًا ، ولها كثيرًا ، وشقي طويلًا . ولكنه لم يكترث لقصر حياته ، ولا لكثرة لهوه ، ولا لطول شقائه . بل استقبل كل ذلك باستخفاف يجاور الازدراء ، وصوّره شعرًا يكاد يفوق جميع الشعر الجاهلي امانةً واخلاصاً ، وشفوفاً عن شخصية صاحبه البارزة .

حياته

عصره

يكاد يجمع الرواة على ان طرفة قُتل على عهد عمرو بن هند،[1] ملك الحيرة . ويكاد اكثر الذين كتبوا عن طرفة يُجمعون ايضاً على تعيين قتله حوالي السنة ٥٥٠ للمسيح[2] . وهما قولان يتنافيان اذا درسنا عهد عمرو بن هند وعينّا سني ملكه . على ان في هذا الامر ايضاً اضطراباً بين المؤرخين ، فمن تبع منهم قدماء الرواة عيّن لابتداء ملك عمرو سنة ٥٦٢ او ٥٦٤ ، وقال انه ملك اثنتي عشرة سنة ، او اربع عشرة سنة او ست عشرة سنة ، وان النبي محمدًا وُلد في السنة الثامنة او العاشرة من ملكه .[3]

---

١) انظر رواية مخالفة لذلك في رسالة الغفران للمعرّي (طبعة الكيلاني — الجزء ١ : ٢٠١)

٢) كجرجي زيدان مثلًا : تاريخ الآداب العربية ١ : ١١٦

٣) راجع في ذلك الطبري والنويري والمسعودي عند ذكر عمرو بن هند

ومن اتبع ارباب النقد الحديث عيّن لعمرو بن هند ست عشرة سنة من الملك بدؤها سنة ٥٥٤ وانتهاؤها سنة ٥٧٠ [1]

فيظهر ان كلا المذهبين بعيد عن الاتفاق مع القول ان طرفة قُتل سنة ٥٥٠ . ويظهر ايضاً، إذا جمعنا بينهما، ان مقتل شاعرنا يجب ان يكون بين السنتين ٥٥٤ و٥٧٨ . ولكن هذه المدّة طويلة فلا يمكننا ان نترك تاريخ مقتل طرفة يتقلقل مضطرباً على طولها . فلنجتهد في حصرها على قدر الامكان .

ذُكر ان طرفة قُتل شاباً، فسمّاه البعض «الغلام القتيل»، وسمّاه غيرهم «ابن العشرين»، فأخذ كوسان دي پرسڤال بهذا التعبير الشعري واعتبره حقيقة مقرّرة . وكان قد جعل مولد شاعرنا حوالي سنة ٥٤٣ [2]، فلزمه ان يعيّن قتله في السنة ٥٦٣ او ٥٦٤ [3]. وهكذا كان رأي المرحوم الاب شيخو اذ جعل قتله في السنة نفسها [4].

اما نحن فلا نرى من بأس في جعل مولد طرفة سنة ٥٤٣، اذ لا نعرف رواية تخالف ذلك، ولا نجد ما يعاكسه من الحوادث التاريخية، لاسيما

وملوك الحيرة — ثم اسكندر اغا ابكاريوس: تزيين نهاية الارب في اخبار العرب، ص: ٤١–٤٣ و Caussin de Perceval, *Essai sur l'histoire des Arabes, tabl. IV et t. II, p. 115*

Perron, *Tarafah et Al-Moutalammis* (*J. As. janvier 1841, p. 48*)

١) اطلب في ذلك Cl. Huart, *Histoire des Arabes, I, 68*

A. J. Wensinck, *'Amr b. Hind* (*Encycl. de l'Islam*)

٢) Perceval, *op. cit., tabl. IX, A*

٣) Perceval, *op. cit., II, 352*

٤) الاب شيخو : شعراء النصرانية، ص ٣٠٧

وقد نتج من ابحاث پيرون القيّمة في مقابلة الانساب، التي نشرها في المجلة الاسيوية الفرنساوية سنة ١٨٤١، ان طرفة كان من سلسلة نسبه، بدرجة تقابل درجة عمرو بن هند، ودرجة عبدالله والد النبي محمد [1]. اما في ما خصّ وفاته، فاننا نميل الى تفضيل الرواية القائلة بانه عاش ٢٦ سنة لا عشرين فقط، والتي يعزّزها قول الخرنق، اخت طرفة، في رثائه:

عددنا له ستًّا وعشرين حجة   فلما توفّاها، استوى سيّدًا ضخما
فُجعنا به، لما رجونا ايابَه،   على خير حالٍ لا وليدًا، ولا قحما

فيكون ان طرفة وُلد نحو السنة ٥٤٣؛ وقُتل، على عهد عَمرو بن هند، نحو السنة ٥٦٩ [2]

ومن هنا يتضح بُعد المستشرق مكس سلغسون (Seligsohn) عن الحقيقة، اذ جعل من طرفة بطلًا محارباً في مواقع البسوس [3]. وحرب البسوس انتهت باصلاح قبيلتي بكر وتغلب على يد المنذر الثالث، والد عمرو بن هند، نحو السنة ٥٣٤ اي قبل مولد طرفة بعشر سنوات. وقد جرّ المستشرقَ الفاضل الى هذا الوهم قصيدةٌ نُسبت لطرفة فيها ذكرٌ ليوم قضّة، او يوم تحلاق اللمم، وهو من ايام حرب البسوس حدث على قول دي برسفال نحو السنة ٤٩٥. اما القصيدة فمشهورة ينسبها الى طرفة ابو عبيدة والمفضل الضبي. ولكن الاصمعيّ، وهو الذي جمع اكثر شعر طرفة، ينفيها، ويزعم « انها مصنوعة وانه ادرك قائلها » [4]. وسواء

1) *J. As.*, *Janvier 1841*, *p. 49...*

2) وعليه يلزم أصلاح ما ذكرناه في احدى حواشي الروائع (١٧ : ٢٩)

3) Seligsohn, *Dîwân de Tarafa, Introductiou, p. 8*

4) راجع شرح ديوان طرفة للاعلم الشنتمري — طبعة سلغسون نفسه — ص ٤٠

ثبتت نسبتها لطرفة او لم تثبت ، فانه يمكن الشاعر ان يذكر يوم حرب انتصر فيه قومه فيفخر به على الاعداء ، دون ان يحضر ذاك اليوم .

نشأته

اسمه – مولده – لقبه

عمرو بن العبد ، بن سفيان ، بن حرملة ، بن سعد ، بن مالك ، بن ضُبَيعة . . . من بني بكر بن وائل . كان قومه ينزلون البحرين فوُلد هناك ، وهناك قُتل ايضاً كما سيأتي . و « طرَفة » لقب غلب عليه ، قيل انه من الطرفاء وهو شجر الاثل ، وقيل لُقب به لبيت قاله وهو :

لا تعجلا بالبُكاء اليوم مطّرفا ولا اميريكما بالدار اذ وقفا (١

وكان ابوه العبد اخَ المرقّش الاصغر ، وابن اخي المرقّش الاكبر ، وكلا المرقّشين شاعر معروف . وكانت امه وردة اخت المتلمّس جرير بن عبد المسيح وهو شاعر معروف ايضاً . فاكتنف الشعر طرفة من جهتيه ، فما ترعرع حتى قاله ، وما شبَّ حتى نبغ فيه .

موت ابيه ، وجور اعمامه – باكورة شعره

وكان طرفة صغيرًا ، اذ توفي ابوه [٢] تاركاً ارملة بعيدة عن اهلها ،

---

١) وقد عُرف باسم طرفة شعراء عدة ذكر منهم الآمدي في « المؤتلف والمختلف » ثلاثة ما عدا صاحبنا هم :

طرفة بن ألاءة بن نضلة بن المنذر

طرفة الجُذمي احد بني جذيمة العبسي ، وقيل الخُزيمي من بني خزيمة بن رداحة

طرفة العامري

٢) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص : ٨٩

وايتاماً صغاراً قد يكون اكبرهم طرفة ، او معبداً الذي يذكره طرفة في معلّقته (البيت ٧٩ و ٩٥) والذي يعتبره بعض المؤرخين اخاً لطرفة من ابيه فقط . وعلى كلّ ، فأننا نرى طرفة وحده يتكلّف القيام بحقّ امه وردة واخوته الصغار ، والاحتجاج على جور اعمامه بشعرٍ رقيق يُقال انه كان باكورة منظومه ، منه :

ما تنظرون بحقّ وردة فيكمِ ! صَغُر البنون ، ورَهط وردةَ غُيَّبُ !
قد يبعث الامرَ العظيمَ صغيرُه حتى تظلّ له الدماء تصبَّبُ
والظلم فرّق بين حيَّي وائلٍ : بكرٌ تُساقيها المنايا تغلب ! (١ . . .

ويذكر الرواة ايضاً من اول منظوم طرفة ثلاثة ابيات قد يكون قالها على اثر نصبه فخّاً للقنابر فلم يتوفّق في صيدها . والابيات تنسب ايضاً الى كليب بن ربيعة[٢] ، ولعلّ طرفة استشهد بها استشهاداً في حادثة صيده .

وقد ظهرت سرعة خاطره ، وحدّة ذهنه ، واستعداده للهجو المؤلم اللاذع، في انتقاده على خاله المتلمّس استعمال لفظة في بيت من الشعر . وكان المتلمّس « شاعر ربيعة في زمانه » على نحو ما ذكر الاغاني[٣] . وكان طرفة غلاماً يلعب مع اترابه ، فسمع خاله ينشد :

وقد اتناسى الهمّ ، عند احتضاره ، بناجٍ عليه الصيعريّة مكدَمِ

---

١) ديوان طرفة (طبعة سلسون وهي الطبعة التي نشير اليها دائماً) ١٠٢ — ١٠٣ — وفي البيت تلميح الى المبارك بين بكر وتغلب ، وفيه برهان على أن حرب البسوس تقدّمت عصر طرفة كما ذكرنا في الصفحات السابقة .

٢) راجع الروائع (٣ [المهلهل] ٢٤)

٣) الاغاني ٢١ : ٢٠٢—٢٠٣

والصيعرية سمة توسم بها النوق باليمن دون الجمال ، فقال طرفة : « قد استنوق الجمل ! » فارسلها مثلاً - وضحك القوم فغضب المتلمس ، ونظر الى لسان طرفة فقال: «ويل لهذا من هذا ! » يعني رأسه من لسانه. وقد تمت نبوأته هذه !

قبل اتصاله بعمرو بن هند

ملاهيه وآراؤه في الحياة

شبّ طرفة فشبّت معه تلك الاستعدادات للهجاء والتهكّم . وكان له من شرف حسبه دافع الى الجرأة على قومه وعلى غيرهم ، ومن ماله — والمال مادّة الشهوات — دافع الى طلب الملاهي والملذّات . فهجا بغير اعتبار ، وتهكّم بغير شفقة ، واجترأ بغير تقدير العواقب، ولها بغير حساب للنتائج . ومما زاده اندفاعاً في ذلك انه عاش يتيماً فتصرّف بامواله كما شاء على الرغم من تشديد الوصيّ عليه [1] . فكان يجمع من تروق له صحبتهم من رفاق اللهو، واصدقاء مجالس الانس ، وما اكثرهم حول شابّ غرّ بين يديه ثروة رهينة الكأس والطاس . فما زال يشرب ويسقي ، وينحر ويطعم ، ويمهد سبل الملاهي ويحوم مع عصبته على موارد الملاذّ ، ينفق المال متهكماً على البخيل قائلاً ان ليس من فرق بعد الموت — وما اقرب الموت ! — بين قبر شحيح مقتّر وقبر كريم انفق ماله في سبيل الملذّات [2] ؛ زاعماً ان لا غاية من الحياة سوى الشرب ، والنجدة ، ومحادثة النساء ؛ جامعاً بين اساليب اللهو وطرق المجد ، متنقّلاً بين حوانيت

---

١) اطلب المعلّقة ، الابيات : ٦٤ — ٦٧

٢) المعلّقة ، الابيات : ٧١ — ٧٢

الخمّارين ومجالس الشورى في القبيلة[1] ؛ حتى باع طريفه وتالده ولم يبقَ له من المال ما يستر به مساوئه ، فظهر سكّيراً ، خليعاً ، فاسد العقيدة ، مرغوباً عن صحبته . . . فكثر لوّامه وتباعد عنه رفقاؤه ، وتحامته العشيرة كلها ، فافردته افرادَها للبعير الاجرب [2]

تشرّده

عند ذاك ترك طرفة قومه متأثّراً من انقلاب رفقائه عليه ، حزيناً لمفارقته خولة التي كثيراً ما ذكرها في شعره . فجعل يهيم على وجهه تارة يشتغل بالغزو ، وطوراً يأوي الى مغاور الجبال ، ولا انيس له سوى ناقته الامينة الضامرة التي صوّرها صورة حية في معلقته[3] ، حتى طرق اطراف جزيرة العرب ، وقد يكون وصل الى بلاد الحبشة كما يُستخلص من عنوان قصيدة في ديوانه جاء فيه انه قالها في « اطراده الى النجاشي » [4] . على انه لم يذكر فيها من الاماكن التي حلّها سوى « جُرْثُم » وهو موضع في الحجاز على قول الهمداني

توبته وعودته الى اهله

وظلّ على تلك الحال من التشرّد ، يندب سوء حظّ من يجاور قوماً غير قومه ، فيقول :

وليس امرؤ افنى الشبـاب ، مجاوراً سوى حيّه ، الا كآخر هالك ! [5]

حتى اهاب به داعي التوبة فلبّاه ، وعاد الى حيّه بعد ان تجلّى له غيّه السابق ، فقال :

---

1) المعلقة ، الابيات : ٤٦ — ٤٨ 2) المعلقة ، الابيات : ٥٣ — ٥٤

3) المعلقة ، الابيات : ١١ — ٤٠ 4) الديوان : ٨٥

5) الديوان : ٨٣

كنت فيكم كالمغطّي رأسه فانجلى اليوم قناعي وخُمُرْ
سادرًا احسب غيّي رشدًا فتناهيت، وقد صابت بقُرْ[1]

عند اخيه معبد

ولما كان لا يملك شيئاً ، أُجبر على رعاية ابل اخيه معبد[2] . ولكن كان يستحيل على رجل كطرفة ان يكون راعياً صالحاً . فاهمل رعاية الابل اهماله كل همّ في حياته ، وانصرف ينظم الشعر في الغزل ، واللهو ، والهجو ، حتى لم ترق تلك الحال لمعبد فأنبه قائلاً : « تُرى انها ان اخذت تردّها بشعرك هذا ؟ » فاجاب طرفة : « لا اخرج فيها حتى تعلم ان شعري يردّها ! » ولكن الظروف بيّنت تهوّر طرفة فقد أُخذت الابل ، ولم يردّها شعره . فالتجأ الى ابن عمّ له اسمه مالك ليساعده على انتزاعها من آخذيها ، وكانوا قوماً من مُضر . فانتهره هذا بكلام قاس ، وقال : « فرّطتم في ابلكم ثم جئتم تتعبونني في طلبها ! » . فتأثر طرفة ، وكان اخوه معبد يشدّد عليه في طلب الابل ، ففاضت قريحته ، ونظم قسماً من معلقته[3] يصوّر فيه تلك الحالة .

وكأن القدر شاء ان يعوّض هذه الخسارة على اخيه بواسطة شعره لا غير ، وكان قد ذكر في المعلقة سيّدين من اقربائه هما قيس بن خالد ، وعمرو بن مَرثَد ، ومدحهما بكثرة المال والوُلد . فدعاه عمرو بن مَرثَد وقال له : « يا ابن اخي ، اما الولد فالله يعطيكم ! واما المال فسنجعلك

---

١) الديوان : ٦٧

٢) وفي رواية ابن الاعرابي ان الابل كانت للاخوين يخرج فيها كلٌّ بدوره (شيخو : شعراء النصرانية ، ٢٩٩)

٣) الابيات : ٧٦ — ٨٨

فيه اسوتنا.» ثم دعا ولده وكانوا سبعة، فدفع كل واحد الى طرفة عشراً من الابل. ثم امر ثلاثة من بني بنيه، فدفعوا له مثل ذلك. فردّ على اخيه معبد ما ضاع له من الجمال. واقام ينفق في سبيل ملاهيه ما تبقّى حتى نفد.

عند عمرو بن هند

اتصاله به

فارتحل عن قومه يفتش في عرض البلاد وطولها عن مقام يليق بشأنه. وهو الشاب الكريم النسب، الفصيح الكلام، الجريء على القول والعمل. فجذب بصره بلاط الحيرة، وفيه الملك عمرو بن هند، واخوه قابوس، يلتفّ حولهما صهر طرفة عبد عمرو بن بشر، وخاله المتلمس، وغيرهما من رجال الحاشية. فاستقبل الملك طرفة بحفاوة وجعله، مع المتلمس، من ندمائه وجلسائه. وكان يعجب بشعره، وطرفة يفخر ويتيه. فبينا كان الجميع يوماً على الشراب بين يدي الملك اذ اشرفت اخته، فرآها طرفة، فقال فيها بيتين اغضبا عمرًا، فنظر اليه نظرة كادت تقتلعه من مجلسه ولم يقل شيئاً. فلما انفرط عقد المجلس، قال المتلمس لابن اخته: «يا طرفة اني اخاف عليك من نظرته تلك!» فلم يكترث طرفة لكلامه.

اما الملك فنقل المتلمس وطرفة الى حاشية اخيه قابوس وكان قد عيّنه وليّ عهده، فاختلفت معيشة الشاعرين، لان قابوس كان شابًّا يحب الصيد فيركب صباحاً وهما معه يركضان حتى يرجعا عشيّة وقد لغبا. فيصبح قابوس من الغد على الشراب، ويوقفهما في باب سرادقه الى العشيّ. فكانا يتذمّران من تلك الحالة ويودّان التخلص منها. وحدث يوماً انهما وقفا بباب

قابوس طول النهار ولم يصلا اليــه ، فغضبا واخذا بهجائه وهجاء اخيه الملك . وكان مما قال طرفة :

فليت لنا مكان المَلْــك عمروٍ   رغوثًا حول قُبّتنــا تخورُ (١
لعمرك ان قابوس بنَ هنــدٍ   لَيخلطُ ملكَه نوكٌ كثيرُ ! (٢

غضب الملك عليه – كتابا الشؤم

ثم حدث ان اخت طرفة شكت اليه من زوجها عبد عمرو بن بشر، الذي كان من ادنى مقرّبي الملك كما ذكرنا . وكان سميناً بادناً كثير المال . فهجاه طرفة وتهكّم عليه قائلًا من ابيات :

ولا خير فيه غير ان له غنى   وان له كشحاً ، اذا قام ، اهضما (٣

فاشتهرت القصيدة حتى بلغت عمرو بن هند ، ولم يكن بلغه هجاء طرفة اياه اذ لم يكن احد يجسر ان يرفعه اليه .

فاتفق ان دخل عبد عمرو الحمّام مع الملك ، فنظر هذا الى كشحه السمين ، فضحك ، وقال : « لقد كان ابن عمك طرفة رآك حين قال :

وان له كشحاً ، اذا قام ، اهضما ! » (٤

فغضب عبد عمرو وقال : « لقد قال في الملك ما هو شرٌّ من هــذا واقبح ! » قال : « وما ذاك ؟ » فندم عبد عمرو على الذي كان منه وابى

---

١) رغوث : نعجة حلوب
٢) النَوك : الحمق – والبيتان من قصيدة في ديوانه ص : ٦٦
٣) اهضم : نحيف ، يقولها متهكماً – الديوان : ٩٤
٤) عبد القادر البغدادي : خزانة الادب ١ : ٤١٤–٤١٥ – وفي عدة روايات ان عمرو بن هند قال ذلك لعبد عمرو في الصيد ، وقد عجز هذا عن ادراك الطريدة لسمنه ، وفي غيرها انه قال له ذلك اذ كان قاعدًا ونظر الى كشحه

ان يُسمعه . فقال عمرو : « أسمعنيه وطرفة آمن » فاسمعه الابيات المذكورة آنفاً .

واذا اضفنا هذا الهجاء الى جرأة طرفة السابقة واستخفافه بالملك ، قدرنا كم كان مبلغ غضب عمرو بن هند وحقده على طرفة . ولكنه سكت ، وكره ان يعجل عليه خوفاً من هجاء المتلمس ، ومن ثورة يحدثها قوم الشاعرَين فاضمر ذلك واقام يرقب الفرص للتخلّص من الاثنين معاً ، وهو يؤانسهما في الظاهر حتى اطمئنا اليه ، فكتب لهما كتاباً بين لعامله على البحرين — وهي بلاد طرفة — ، وقال لهما : انطلقا اليه فخذا جوائزكما . فحملا الكتابين وسارا

فطنة المتلمّس

وذكر الاغاني[1] انهما لما هبطا النجف قال المتلمس : « يا طرفة ! انك غلام حديث السنّ ، والملك من عرفت حقده وغدره ؛ وكلانا قد هجاه ، فلست آمناً ان يكون قد أمر بشرّ . فهلمّ فلننظر في كتبنا هذه ؛ فان يكن قد امر لنا بخير ، مضينا فيه ؛ وان تكن الاخرى ، لم نهلك انفسنا ! » فأبى طرفة ان يفكّ خاتم الملك . اما المتلمّس فعدل الى حيث رأى غلاماً عبادياً من الحيرة ، فاعطاه الصحيفة ليقرأها . فلما نظر الغلام فيها قال : « ثكلت المتلمّس امه ! » فانتزع المتلمس الصحيفة واكتفى بذلك[2] فرمى بها في النهر ، وسار متبعاً طرفة فلم يدركه[3] .

١) الاغاني ٢١ : ١٩٣

٢) ويقول ابن قتيبة (الشعر والشعراء ، ٨٩) وغيره ان الغلام قرأ ما فيها فكان امرًا بقطع يدي المتلمس ورجليه ، ودفنه حيًّا .

٣) خزانة الادب ١ : ٤١٦ ، والاغاني ٢١ : ١٩٣ ؛ وابن قتيبة ٨٩ ؛ وابو

وقيل بل ادركه ، واخبره القصة وقال له : «تعلَمَنْ ان الذي في صحيفتك مثل الذي في صحيفتي.» فقال طرفة : «ان كان اجترأ عليك ، فلم يكن ليجترئ عليّ ولا ليكتب لي بذلك في عقر دار قومي» .[1] فتركه المتلمس والتمس طريق الشام هارباً[2]

في الحبس

وسار طرفة حتى قدم على عامل البحرين بهجر ، وهو ابو كرب ربيعة بن الحرث ، على الرواية المشهورة ، وهو من اقرباء طرفة . فلما قرأ الكتاب قال : «أتعلم ما أُمرت به فيك ؟» قال طرفة : «نعم أمرتَ ان تجيزني وتحسن الي !» فقال : «ان بيني وبينك لخؤولة انا لها راعٍ ! فاهرب من ليلتك هذه ، فانني ، قد أُمرتُ بقتلك . فاخرج قبل ان تصبح ويعلم بك الناس .» فابى طرفة وقال : «اشتدّت عليك جائزتي ، واحببتَ ان اهرب واجعل لعمرو بن هند عليّ سبيلًا ، كأنني اذنبت ذنباً . والله ! لا افعل ذلك ابدًا !» فامر بحبسه .

وعرف قوم طرفة من بني بكر بقدومه فقصدوا العامل عند الصباح ، سائلين : «ما أقدم طرفة ؟» فقرأ عليهم كتاب الملك ، وقال انه يمتنع عن قتله لقرابته منه . ثم كتب الى عمرو بن هند ان ابعث الى عملك من تريد فاني غير قاتل الرجل .

واذ كان طرفة بالحبس ، عرف خيانة صهره عبد عمرو وايغاره صدر

زيد القرشي : الجمهرة ، ٧٠

١) الانباري : شرح معلقة طرفة ، ص ٣ ؛ والاغاني ٢١ : ١٩٥

٢) ومن هنا المثل : رقعة كصحيفة المتلمس (الميداني : نظم الاحدب ١ : ٢٣٨)

الملك عليه ، فارسل اليه قصيدة هجائية منها :

الا ابلغا عبد الضلال رسالةً   وقد يبلغ الانباء عنك رسولُ :
دببتَ بسرّي ، بعد ما قد علمته ،   وانت بأسرار الكرام نَسولُ ! [1]

قتله

ثم ارسل عمرو بن هند عاملاً جديداً على البحرين اسمه معضد بن عمرو ، على رواية ابن الكلبي ، وابو ريشة على رواية غيره [2] . وكان رجلاً من الحواثر شجاعاً ، فقتل طرفة وقتل ربيعة بن الحرث العامل السابق . واختُلف في طريقة قتل طرفة ، فمنهم من قال انه صُلب ، كما ذكر هو نفسه اذ اخبر بكيفية قتله [3] . ومنهم من قال انه سُقي الخمر حتى ثمل ثم فُصد اكحله ، والاكحل عرق في القدم . وقيل ان العامل قطع يديه ورجليه ثم دفنه حياً . وكان قبره معروفاً بهجر ، بأرض لبني قيس بن ثعلبة [4]

وقد رثته اخته الخرنق الشاعرة بالبيتين اللذين ذكرناهما في اول هذا الدرس . ورثاه ايضاً خاله المتلمس ، ثم تطرّق الى هجاء عمرو بن هند وتحريض قوم طرفة عليه . فتنصل عمرو من قتل طرفة وزعم انه لم يأمر الحوثريّ بقتله ، فأُخذت ديته من الحوثري المذكور . ودُفعت الى معبد ابن العبد اخي القتيل [5] .

---

1) الديوان : ٧٧ — ٧٨
2) الاغاني ، ٢١ : ٢٠٢
3) الديوان : ١٤١ ، ١٤٣
4) ابو زيد القرشي : الجمهرة ، ٧٣
5) الاغاني ، ٢١ : ٢٠٢

ديانته

ذكر المرحوم الاب شيخو طرفة بين «شعراء النصرانية» ، دون ان يشير الى الاسباب التي دفعته الى ذلك في كتابه هذا . على انه اشار اليها في كتابه التالي ، الذي بدأه سنة ١٩١٢ وظهر سنة ١٩٢٣ ، حاوياً مجمل النظريات التي طبقها في منشوراتـــه السابقة عن شعراء النصرانية . وفيه يذكر اسباب قوله بنصرانية طرفة ، وهي تُردّ الى ما يلي :

١ — كان اهل طرفة واقرباؤه من النصارى . اذ لا شك بنصرانية ضُبيعة اهل ابيه . ولا شك بنصرانية امه اخت جرير بن عبد المسيح النصراني

٢ — وفود طرفة وخاله على ملك الحيرة النصراني

٣ — عيشتهما في الحيرة بين النصارى

٤ — بعض استنتاجات من اقواله تفيد انه نوّه بالخلود والحساب وما شاكل(١)

اما كون سلوك طرفة في حياته كلها يبعد عن المثال المسيحي ، فهو لا شك فيه لمن يقرأ شعره ويتتبع طرق معيشته . واما الاستنتاج من ذلك كون طرفة وثنياً عابداً للصنم «اوال» او غيره، كما يميل الى القول المستشرق سلغسون(٢) ، فهو ما لا نراه لازماً بعد ان عرفنا نصرانية اهل طرفة . فجلّ ما يمكننا القول انه كان من هؤلاء النصارى — وهم كثر لسوء الحظّ — الذين لم يحفظوا من نصرانيتهم الا الاسم فقط !

---

١) الاب شيخو : النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ، ص ٤٢٢

٢) Seligsohn, *op. cit. introd.* p. 19

آثاره

الديوان

لطرفة شعر متفرّق لم يشتهر منه قديماً الّا قصيدة واحدة هي المعلقة . ولهذا كثيراً ما عدّه بعض الادباء بين « المقلّين » ، وبعضهم بين « اصحاب الواحدة » . على ان الاصمعي روى له عدة قصائد ، وروى غيرها ابو عبيدة ، وزاد عليها غيرهما حتى تكوّن له ديوان شرحه الاعلم الشنتمري في القرن الحادي عشر . وكان اول من نشره ، دون شرح ، المستشرق وليم بن الورد (Ahlwardt) ، مع دواوين النابغة ، وعنترة ، وزهير ، وعلقمة ، وامرئ القيس فطبعها في لندن ١٨٧٠ بعنوان « كتاب العقد الثمين في دواوين الشعراء الجاهليين » «*The Diwans of the six ancient Arabic poets*» .
ثم نشر المرحوم الآب شيخو كل ما وقف عليه من شعر طرفة في مجموعته الكبيرة المعروفة « بشعراء النصرانية » ، سنة ١٨٩٠

وسنة ١٩٠٠ اهتمّ المستشرق سلغسون (Max Seligsohn) بجمع شعر طرفة فنشر له ديوانه مع شرح الشنتمري ، واردفه «بتعليقة» و « ذيل » ذكر فيهما كل ما وجده في المخطوطات والكتب منسوباً لشاعرنا ، سواء ثبتت نسبته او لم تثبت . فاجتمع له ٦٥٧ بيتاً ، ترجمها الى الفرنساوية ، وعلّق عليها الحواشي المفيدة ، وقدّم لها مقدّمة تاريخية واسعة . وكان قد ظهر عدة ترجمات اخرى لبعض القصائد ، منها ترجمة فرنساوية بقلم دي سلان (de Slane) [1] وترجمة لاتينية بقلم فندنهوف (Vandenhoff) [2] .

---

١) *Journal Asiatique, IIIe série, t. 5.* ٢) *Nonnulla Tharafae Carmina* — وقد طبع ديوان طرفة ايضاً سنة ١٩٠٩ بعناية احمد الشنقيطي

اما موضوعات الديوان فتدور حول المدح والهجو، والتغزّل بخولة، والفخر، وذكر اساليب اللهو، وصعوبات السفر، ووصف الناقة، وبعض الحكم المتفرّقة. على ان ما يهمنا خاصّة في هذا الدرس هو المعلّقة

المعلقة

شروحها، طبعاتها، ترجماتها

معلّقة طرفة اطول قصيدة في ديوانه . وجمهور الرواة على ان عدد ابياتها ١٠٣ او ١٠٤ او ١٠٢، وعلى انها الثانية بين المعلقات السبع[1] . وهي دالية على البحر الطويل . وقد اهتمّ بها الادباء وعلماء اللغة اهتمامهم بسائر المعلقات، فخصوا بها الشروح العديدة اشهرها شرح الزوزني مع المعلقات الباقية، طُبع طبعاً حجريًّا بخط ابي صعب في دير القمر سنة ١٨٥٣، وشرح التبريزي مع باقي المعلقات ايضاً، طبعه في كلكتا المستشرق لايل (Lyall) سنة ١٨٩٤، وشرح الشنتمري مع شرح سائر الديوان في طبعة سلغسون السالفة الذكر . وافرد لها الانباري مجلّدًا خاصًّا طُبع في القسطنطينية بعناية المستشرق ريشر (Rescher) سنة ١٩١١. وقام مؤخرًا الشيخ عبد القادر المغربي فحلّل بعض اقسامها في محاضرة القاها في ردهة المجمع العلمي الدمشقي في ١٧ نيسان ١٩٢١ . هذا عدا المجاميع الادبية المختلفة التي نشرت فيها المعلقة كاملةً او مختصرة، مشروحة او دون شرح

اما في غير لغتنا فللمعلقة شروح وترجمات عديدة اشهرها ترجمة دي

١) راجع ما قلناه عن المعلقات في الروائع (٢ [الشعر الجاهلي] ٩) و (٧ [امرؤ القيس] ن، س)

برسڤال الفرنسوية في تاريخ العرب[1] ، وترجمة سلغسون الفرنسوية ايضاً في كتابه المذكور آنفاً .

ظروف نظمها — الاختلاف في ترتيب ابياتها — اقسامها

ولكنها ، كسائر المعلّقات ، بعيدة عن ان تؤلف وحدةً ادبية تامّة . فهي اقسام عدّة ، في موضوعات عدّة ، دُفع الشاعر الى نظمها في ظروف مختلفة قد تكون متفاوتة زماناً ومكاناً . فبينا هو يصف خولة، واطلالها، منتقلاً الى وصف الناقة ، اذا به يصف طرق معيشته وكرمه وموقف الوصيّ عليه من هذا الكرم ؛ وبينا هو يعاتب ابن عمه مالكاً ، اذا به يعود الى وصف نفسه وشجاعته ؛ ثم يذكر الموت فيعلّم ابنة اخيه كيف ترثيه ، ويردف ذلك ببعض الحكم . فنرى من ثمّ ان هـذا التعدُّد في الموضوعات لا يمكن ان يكون نتيجة ظرف واحد ، بل قد لا يكون طرفة اراد ، اذ نظم كل هذه الاقسام ، ان يؤلف منها قصيدة واحدة . فاتى الرواة من بعده، ورأوا بحرًا واحدًا ورويًّا واحدًا، فجمعوا في القصيدة كل ما وصل اليهم من الابيات منسوبة الى طرفة .

وهذا مـا يوضح لنا الاختلاف الـذي نراه في ترتيب الابيات في الروايات المتعدّدة . وهو اختلاف كثيرًا ما اشار اليه الشرّاح المحدثون من شرقيين ومستشرقين ، ولكننا لا نعرف احدًا تجـاوز الاشارة الى تغيير الترتيب واظهار المعلّقة على تقسيم معقول؛ لم يفعلوا ذلك لانهم ارادوا المحافظة على الترتيب القديم كي لا يضلّ المطلع على ابحاثهم العلمية اذا اشاروا فيها الى بيت غُيّر محلّه . اما نحن فلما لم يكن عملنا بالبحث العلمي المحض ، لم

---

1) de Perceval, *op. cit. t. II, p.* 352

نخشَ هذا الامر ، ولم نتراجع ، في سبيل افادة الطلّاب ، امام تغيير الترتيب في ابيات المعلقة ، فعرضناها على تقسيم معقول استنتجناه من ملاحظتنا معاني الابيات ومما اشار اليه الادباء المذكورون . اما في ما خصّ رواية كل بيت بمفرده ، فكان اعتمادنا اوّلًا على شرح الزوزني ، ثم على شرح الشنتمري ، فعلى شرح التبريزي

وهذه اقسام المعلقة في طبعتنا :

١ً — وصف اطلال خولة ، وأسف الشاعر لرحيلها ، مع وصف سفرها (البيت ١ — ٦)
٢ً — وصف خولة (٦—١١)
٣ً — وصف الناقة (١١—٤٥)
٤ً — وصف نفسه : الكرم ، اللهو ، السكر — آراؤه في الحياة والموت — نحره للنياق ، موقفه من عمّه (٤٥—٧٦) — ولعلّ هذه الاقسام من المعلقة نظمها الشاعر في القسم الاول من حياته ، قبل ان يفتقر ويتشرّد .
٥ً — عتابه لابن عمه مالك (٧٦—٩٥) — وقد نظم هذا القسم بعد ان أُخذت ابل اخيه فاتى يستنجد بمالك فردّه هذا خائبًا كما ذكرنا
٦ً — وصيّته لابنة اخيه ان تندبه ، مع بعض الحكم (٩٥—١٠٤) — ولعلّه نظم هذا القسم بعد ان عرف بدنوّ اجله .

صحة نسبتها

لا يهمّنا في هذا البحث جميع شعر طرفة فقد يكون فيه القصائد المصنوعة ، وقد يكون فيه القصائد المشكوك في صحة بعضها ، وقد يكون فيه القصائد الثابتة . على ان ما نكترث له اليوم هو المعلقة وحدها ونحن لا نعرف احدًا من قدماء الادباء ولا من محدثيهم شكّ في صحة نسبتها ، وقد قال سلفسون : « من الثابت ان ابيات المعلقة جميعها لطرفة .

ولا يمكن الخلاف في هذا الامر.»[1] على ان من يذكر نسبة الشعر الجاهلي في عصرنا لا يتمالك ان يذكر الدكتور طه حسين. وما عسى ان يكون موقفه من معلقة طرفة؟ يسير الدكتور على طريقته من النفي، في القسم الاول من المعلّقة، دون ان ينتبه الى شخصيةٍ في الوصف وابتكارٍ في التعبير من الصعب ان يكون النظم معهما «اقرب الى صنعة العلماء باللغة منه الى اي شيء آخر.»[2]

ولكنه لا يكاد يصل الى القسم الخاصّ بذكر آراء الشاعر في الحياة والموت، حتى يخفف من غلوائه في الانكار. وكأنه يعزّ عليه ان ينسب الى الانتحال هذا «الالحاد»، او ما يعتقده إلحاداً في هذا الشعر، فيثبته؛ اي يثبت الشعر، ولكن لا يدري لمن يثبته. لانه «ليس يدري اهذا الشعر قد قاله طرفة ام قاله رجل آخر؟ وليس يعنيه ان يكون طرفة قائل هذا الشعر. بل ليس يعنيه ان يعرف اسم صاحب هذا الشعر؛ وانما الذي يعنيه هو ان هذا الشعر صحيح لا تكلّف فيه ولا انتحال.»[3] وما معنى كلّ هذا سوى ان الدكتور يقرّر وجود الشعر المذكور بين ايدينا، وهو ما لا ينكره احد بل لا يخطر في بال احد ان ينكره، لان هذا الوجود امرٌ واقع. اما في ما يخصّ نقطة البحث المهمة، وهي نسبة هذا الشعر الى قائله أطرفة ام غيره، فهو ما لا يعني الدكتور! وماذا يعنيه اذاً؟ أكون الشعر فيه «الحاد» فحسب؟ لعمري ان موقف الدكتور تجاه طرفة لاغرب من موقفه تجاه الذين انكر شعرهم جملةً دون احتياط ولا تحفّظ!

---

1) Seligsohn, *op. cit. introd. p.* 20

2) الدكتور طه حسين: في الادب الجاهلي، ص: ٢٤٦

3) الدكتور طه حسين: الكتاب المذكور ص: ٢٤٨

قيمة شعره

ان للشعر الجاهلي اجمالًا ، فضلًا عما فيه من روعة القِدَم ، وطبعية الوصف ، وجمال السبك ، قيمة تاريخية لا يُستهان بها . فهو صور دقيقة لذلك العصر تتجلى فيها مظاهر عمرانه ، وهو وثائق ثمينة يستند اليها المؤرّخون . وان لمعلّقة طرفة خاصةً السهم الاوفر من ذلك . فمنها نستفيد انه كان للعرب ملاحة وسفن يجولون بها في خليج فارس[1] فيصعدون دجلة[2] . وانه كان لهم صناعات منها وشر السفن في البحرين[1] ، ودباغة الجلد في اليمن ، وصناعة الورق في الشام او استعماله فيها خاصّة[2] . ومنها نعلم معرفة نصارى الشام للكتابة[3] ، وحذق الروم بالبنيان[4] ؛ واستعمال العرب للمرداة وهي آلة حجرية يُكسر بها غيرها من الاحجار[5] . فضلًا عما فيها من تصوير عادات الجاهليين في مجتمعاتهم ، ومجالس لهوهم ، ومآتمهم ، حتى معتقداتهم الخرافية في « الصدى »[6] و«مفائلة» صبيانهم[7] . الى غير ذلك من المعلومات العمرانية والاجتماعية

ولا ينحصر هذا الوصف بالمحيط الخارجي بل يتجاوزه الى التصوير الاخلاقي ، يتناول به الشاعر اخلاقه خاصة واخلاق من كان على مذهبه عامّةً ، واخلاق من كان مخالفاً له ايضاً . ثم يبسط مذهبه في الحياة والموت[8] بلهجة يَسِمها الإخلاص والطبعية . فتظهر لنا من خلال

١) المعلقة ، ٣–٥
٢) المعلقة ، ٢٩
٣) المعلقة ، ٣١
٤) المعلقة ، ٢٢
٥) المعلقة ، ٣٦
٦) المعلقة ، ٦٧
٧) المعلقة ، ٥
٨) المعلقة : الابيات ٤٥–٧٦

اوصافـه الثقافة شخصيةٌ محدّدة واضحة تجذب المطالع بطرافتها ، وتبهره بجرّيتها وعدم تحرّجها ، فيرغب في التعرّف اليها والاطّلاع على خفاياها واسرارها ، رغبته في اكتشاف اسرار كل نفس عجيبة ، ومعرفة مطاوي كل قلب غريب

هذه ميزات تبدو لاول مرّة في الشعر الجاهلي ، والفضل لطرفة ، فتمتاز معلقته ، في هذا الامر ، على معلقة سابقه امرئ القيس الذي انما حصر مجال قريحته في الاوصاف الخارجية ، فابدع فيها ما شاءت شاعريته . ولكنه لم يتجاوزها الى تشييد ذاك الاثر الادبي الماثل بشخصية طرفة .

على ان طرفة لم يتوقف لدى وصف الاخلاق مجرّدة ، وابداء آرائه في الحياة ، بل تجاوز ذلك الى نوع من الحُكم على سلوك غيره من البشر فاورد شيئاً من الابيات الحكمية . وهنا يلزم ان نحدّد صفة هذه الابيات الحكمية ، فلا ننزلها منزلة تلك الحكم التعليمية المبتذلة ، او تلك النصائح الجوفاء . فالحِكَم عند طرفة نتيجة طبيعية لاختباراته الشخصية ، وهو لولا اجحاف اعمامه بحق أُمه الارملة لما قال :

قــد يبعث الامرَ العظيمَ صغيرُه   حتى تظلَّ له الدماء تصبَّبُ ! (١

ولولا اعراض ابن عمه عنه لما تألّم قائلًا :

وظلم ذوي القربى اشدّ مضاضةً   على المرء من وقع الحُسام المهنّدِ (٢

ولولا استخفافه بالاموال وجامعيها ، واعتقاده ان لا شيء بعد الموت يميّز بين الكريم اللاهي والبخيل المقتّر على نفسه ، لما اتانا بتلك الصورة الرائعة :

ارى قبر نحّامٍ بخيلٍ بماله   كقبرِ غويّ في البطالة مفسدِ ! (٣

فاذا عرفنا هذا ، استغربنا من كليمان هوار ان يستغرب التناقض بين

---

١) الديوان : ١٠٢   ٢) المعلقة : ٨٦   ٣) المعلقة : ٧١

حكم طرفة وطريقـة معيشته[1] . لان لا مسوّغ لهذا الاستغراب ، بل لا وجود لهذا التناقض ، فالحكم عنـد طرفة نتيجة طبيعية لاختباراته في مختلف ادوار حياته ، ولازمة متممة لشخصيته الادبية !

مآخذ

راجع اجمالاً ما ذكرناه في مآخذ الشعر الجاهلي (الروائع ٢ : ٤٣) ومآخذ امرئ القيس (الروائع ٧ : ش) وخصوصاً ، ما يلي :

ابو زيد القرشي : جمهرة اشعار العرب ، مصر ١٣٣٠هـ (١٩١١) ص ٦٩

ابن قتيبة : الشعر والشعراء — طبعة de Goeje — ليدن ١٩٠٢ ، ص ٨٩

ابو الفرج الاصبهاني : الاغاني — الجزء ٢١ — طبعة Brünnow — ليدن ١٨٨٨ ، ص ١٩٢ ، ١٩٣-١٩٦ ، ٢٠١ ...

عبد القادر البغدادي : خزانة الادب — بولاق — الجزء الاول ، ص : ٤١٤

الانباري : شرح معلقة طرفة — طبعة Rescher — القسطنطينية ١٩١١

البستاني : دائرة المعارف — الجزء الحادي عشر ، ص ٢٥٩

الاب لويس شيخو : شعراء النصرانية ، بيروت ، ١٨٩٠ ، ص : ٢٩٨

الاب لويس شيخو : النصرانيـة وآدابها بين عرب الجاهلية ، بيروت ، ١٩٠٢ — ١٩٢٣ ، ص ٤٢١

عبد القادر المغربي : معلقة طرفـة بن العبد [محـاضرات المجمع العلمي العربي بدمشق ، دمشق ١٩٢٥ ؛ ص ١]

Perron, *Lettre sur les poètes Tarafa et Al-Moutalammis — Journal Asiatique, 3e série, t. XI [1841] p. 66 et 215*

A. P. Caussin de Perceval, *Essai sur l'Histoire des Arabes. Paris, 1847. t. II, p. 343...*

Max Seligsohn, *Diwân de Tarafa ibn Al-ʿAbd Al-Bakri, Paris, 1901*

(1 Cl. Huart, *Littérature Arabe*[4], *p. 13-14*

المعلقة

المطلع

١ لخولةَ أطلالٌ ببُرْقــةِ ثَهْمَدِ تلوحُ كباقي الوشمِ في ظاهرِ اليدِ.[1]

وقوفاً بهــا صَحْبي عليَّ مَطِيَّهم ، يقولون: «لا تَهْلِكْ أسىً! وتجلَّدِ!»[2]

وصف الحدوج

كأنّ حُدوجَ المالكيّةِ ، غُدوةً ، خلايا سفينٍ ، بالنواصف من دَدِ،[3]

---

١) خولة: ذكر الزوزني من هشام بن الكلبي انها امرأة كلبيــة. اما الأعلم الشنتمري ، شارح ديوان طرفة ، فيقول انها من بني مالــك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة. على ان طرفة يدعوها «بالحنظلية» في احدى قصائده :

فقــل لخيــال الحنظليّــة ينقلبْ اليها ، فاني واصلٌ حبلَ مَن وصلْ !

فتكون اذن من وُلْد حنظلة بن مالك التميمي لا البكري. البُرقة : ارض ذات حجارة وطين. ثَهْمَد : مكان لبني دارم في نجد ، على قول ياقوت. تلوح : تظهر وتلمع. الوشم : طريقة تزيين بعض اقسام الجسم بان تغرز فيه الابرة وتحشى المغارز بالاثمد او غيره من الاكحال. وتسمّى النقوش ايضاً بالوشم ج. الوشوم. وورد في خزانة الأدب (١ : ٤١٠ و ٤ : ٤٠٢) في الشطر الثاني :

ظللت بها ابكي ، وابكي الى الغدِ

وذكر ذلك ايضاً الشنتمري في شرحه (طبعة Seligsohn) ص: ٥

٢) نصب «وقوفاً» على الحال. المطيّ : ج. المطيّة : اسم جامع لكل مــا يمتطى اي يُركب. تجلّد : من التجلّد وهو تكلّف الجَلادة : التصبّر. والبيت ورد في معلّقة امرئ القيس على صورته هذه ما عدا الكلمة الاخيرة فانها «وتجمّل !» (راجع الروائع ٧ : ١)

٣) الحدوج : ج. حِدج : مركب النساء ، ومثله الحِداجة ج. حدائج. المالكية : نسبة الى بني مالك ، وهي خولة. خلايا : ج. خليّة : السفينة العظيمة.

عَدَوْلِيَّةٌ ، او من سفينِ ابن يامنٍ، يجورُ بها المَلّاحُ ، طورًا ، ويهتدي؛[1]

٥ يشقّ حَبابَ الماء حيزومُها بها ، كما قسم التربَ المفائلُ باليدِ .[2]

وصف خولة

يشبّهها بالغزال واصفًا اياها بخمسة ابيات اجملها :

١٠ ووجهٍ كأنّ الشمسَ ألقت رداءَها عليه ، نقيّ اللون ، لم يتخدَّدِ ا[3]

وصف الناقة

واني لأمضي الهمّ ، عند احتضاره، بعوجاءَ مِرْقالٍ تروحُ وتغتدي[4]

سفينٍ : ج . سفينة . النواصف : ج . الناصفة ، اماكن تتّسع من الاودية كالطرق ، مجاري الماء الى الاوديـة . دَد : وادٍ في الطريق من البصرة الى البحرين ؛ وان كان النواصف اسم مكان في عُمان كما يقول ياقوت ، يصبح قسمًا من هذا الوادي .

١) عدوليّة : نسبة الى عَدَوْلى : قرية بالبحرين اشتهرت ببنـاء السفن . ابن يامن : ملّاح مشهور من هجر

٢) حَباب الماء : امواجه ، معظمه ، فقاقيعه التي تطفو . الحيزوم : الصدر . المفائل الذي يلعب الفئال ، وهو ضرب من اللعب يكون بأن يُجمع التراب او الرمل ، فيُدفن فيه شيء كالخاتم او غيره . ثم يقسم المفائل التراب بيده نصفين ويسأل صاحبه عن الدفين في ايّها هو ؛ فان اصاب ربح ، وان اخطأ خسر .

في الابيات الثلاثة تشبيه جميل مركّب ، شبه فيه الشاعر اولًا مراكب صاحبته وصواحبها بالسفن العظام يديرها الملاّح طورًا في السمت وتارةً خـارجًا عنه ، فتشقّ صدورها معظم الماء . ثم علق بهذه الصورة الاخيرة فشبّه شقّ السفن للماء بقسم اللاعب بالفئال ترابه الى قسمين .

٣) ألقت : في رواية الشنتمري : حلّت . التخـدّد : اضطراب الجلد مع استرخاء اللحم .

٤) الاحتضار: الحضور . العوجاء : صفة للناقة الضامرة والنشيطة . المِرْقال : مبالغة من الإرقال وهو نوع من الركض يكون بان تسير الناقة نافضةً رأسها .

لها فَخِذانِ أُكمِلَ النَّحضُ فيهما ، كأنهما بابا مُنيفٍ مُمرَّدِ (١

٢٠ وطيُّ مَحالٍ كالحَنِيِّ خُلوفه ، وأَجرِنَةٌ لُزَّت بدأيٍ مُنضَّدِ (٢

لها مرفقان افتلان ، كأنما تَمُرُّ بِسَلْمَيْ دالجٍ متشدِّدِ (٣

كقنطرةِ الروميِّ اقسم ربُّها لَتُكْتَنَفَنْ ، حتى تُشادَ ، بقَرمدِ (٤

صهابيَّةُ العُثْنونِ ، مُوجَدَةُ القَرا ، بعيدة وَخْدِ الرِجلِ ، مَوَّارةُ اليَدِ (٥

تروح وتغتدي : اي تصل سير الليل بسير النهار . — يقول اذا ادركني الهمّ تخلّصت منه بالسفر على هذه الناقة .

١) النَحض : اللحم . مُنيف : صفة للقصر المحذوف ، عالٍ ، مُشرف . مُمرَّد : مملّس ، وفي رواية الشنتمري : « مُمدَّد » . المعنى : لهذه الناقة فخذان اكتنز لحمهما فشابها مصراعَي باب قصرٍ عالٍ مملّس .

٢) طيُّ محالٍ : اي لها محال مطويّة اي متراصفة دان بعضها من بعض . والمَحال : ج . مَحالة : فقرة الظهر . الحَنِي : ج . حَنيَّة : القوس سمّيت به لانحنائها وقد شبه بها الضلوع في ذلك . الخلوف : ج . خَلْف . اقصر الأضلاع . الأجرِنَة : ج . جِرَان : باطن العنق ، وفي رواية التاج : و « اخراته » : مآخير الاضلاع مفردها خَرْت . لُزَّت : ضُمَّت . الدأي : ج . دأية : فقرة العنق . المنضَّد : الملصق بعضه ببعض

٣) افتلان : قويّان شديدان . تمرّ : في رواية الشنتمري : أُمِرَّا . سَلْمَي : مثنى سَلْم : الدلو ذات العروة الواحدة . الدالج : ناقل الماء الذي يملأ الدلو من البئر فيفرغها في الحوض ، ونعته بالمتشدّد اي القوي لانه يباعد بين عضديه كي يبعد الدلوين عن ثيابه — شبّه بُعد مرفقي الناقة عن جنبيها — وذلك صفة حسنة في النوق — ببعد هاتين الدلوين عن جنبي حاملهما .

٤) لَتُكْتَنَفَنْ : اي لَتُبنى من اكنافها : نواحيها . تُشاد : ترتفع ، او تُطلى بالشيد وهو الجصّ . شبّه الناقة في علوّها وشدّة خلقها بقنطرة لرجل رومي يبني نواحيها بالقرمد حتى تصبح عالية متينة ويقول الشنتمري : « خصّ الرومي لانه احكم عملاً ! »

٥) صُهابيّة : من الصُهبة : الحمرة المشوبة بالبياض . العُثنون : الشعر تحت

٢٥ أُمِرَّت يداها فتلَ شَزْرٍ، وأُجنِحَت ... لها عَضُداها في سقيفٍ مسنَّدِ [1]

جَنوحٌ، دُفاقٌ، عَنْدَلٌ، ثمّ أُفْرِعَت ... لها كتفاها في معالًى مصعَّدِ [2]

كأنَّ عُلوبَ النِّسعِ في دَأَياتِها ... مواردُ من خلقاءَ في ظهر قَرْدَدِ [3]

تلاقى، وأحيانًا تبين، كأنّها ... بنائقُ غُرٌّ في قميصٍ مقدَّدِ! [4]

وأتلعُ نهّاضٌ، اذا صعّدت به، ... كسُكّانِ بوصيٍّ بدجلةَ مُصْعِدِ [5]

اللحي. مُؤْجَدَة: شديدة. القرا: الظهر. بعيدة وخد الرجل: اي تأخذ رجلها من الارض اخذًا واسعًا اذا وَخَدَت، والوَخْد: نوع من الركض. موّارة: مبالغة من مار: تحرّك.

١) أُمِرَّت: من الإمرار: إحكام الفَتْل. الفتل الشَزْر: ان يُفتل من أسفل الكف الى فوق. أُجنحت: أُميلت. السقيف: السقف والمقصود هنا زور الناقة. — المعنى: فُتلت يداها فتلًا بعد به عن كلكلها، وأُميلت عضداها تحت زور كأنه سقف أُسند بعض لِبنه الى بعض.

٢) جنوح: تميل في سيرها نشاطًا. دِفاق: المتدفّقة اي المسرعة. عَنْدَل: كبيرة الرأس. أُفرعت: من الإفراع: التعلية — المعنى: هذه الناقة شديدة الميلان عن سمط الطريق لفرط نشاطها في السير، مسرعة غاية الاسراع، عظيمة الرأس. وقد عليَت كتفاها في ظهر عالٍ.

٣) العلوب: ج. العَلْب: الأثر. النِسْع: سَيْر تشدّ به الأحمال. دأياتها: ضلوع صدرها. موارد: ج. مورد: الماء الذي يُقصد للشرب. الخلقاء: الصخرة الملساء. القردَدَ: الارض الغليظة الصلبة. — شبّه آثار الحبال في صدرها بآثار المياه المنحدرة من صخرة ملساء في ارض غليظة صلبة

٤) تلاقى: اي تتلاقى. تبين: تتفرّق. البنائق: ج. البَنيقة: قطعة تخاط بالقميص ليتّسع. — يتابع الصورة في البيت السابق فيقول ان هذه الآثار تتلاقى حينًا وتبتعد احيانًا كأنها قطع من نسيج ابيض تظهر في قميص شقّ ووُصل.

٥) أتلع: صفة للعنق المحذوف اي طويل. نهّاض: مبالغة من النهوض

٣٠ وجمجمةٌ مثل العَلاةِ ، كأنّما | وعى الملتقى منها الى حرفِ مبردِ [١]
وخدٌّ كقرطاس الشآميّ ، ومِشفَرٌ | كسِبْتِ اليماني ، قِــدُّه لم يجرَّدِ [٢]
وعينانِ كالماويّتين ، استكنّتــا | بكهفَي حجاجَي صخرةٍ قَلتِ موردِ [٣]
طَحُورانِ عُوّارَ القذى ، فتراهمــا | كمكحُولتَي مذعورةٍ أمّ فرقدِ [٤]
وصادقتا سمع التوجُّس للسُرى | لهجسٍ خفيٍّ ، او لصوتٍ مندَّدِ [٥]

السُكّان : دفة السفينة . البوصيّ : السفينة – اذا رفعت عنقها الطويل اشبه دفة سفينة صاعدة في دجلة .

١) العَلاة : السندان . وعى : جمع ، انضمّ . الملتقى : حيث تلتقي قبائل الرأس – شبه ملتقى كل قبيلتين من رأس هذه الناقة بحرف مبرد بدقّته وشخوصه . وكان الاصمعي يقول : لم يأتِ احد بهذا التشبيه غير طرفة (الشنتمري) .

٢) السبت : جلد البقر المدبوغ بالقرظ – شبّه خدّها بقرطاس الرجل الشامي املاساً وبياضاً ، لخلوّه من الشعر « وانما قال الشامي لأنهم نصارى اهل كتاب » (الشنتمري) . وشبّه شفتها بجلود اليمن المدبوغة التي لم تجرّد من الشعر ليناً واستقامةَ قطع .

٣) الماويّة : المرآة . الكهف : الغار . الحَجاج : العظم المشرف على العين ينبت عليه الحاجب . القَلت : النقرة في الحجر تمسك الماء . المورد : الماء – شبّه عينيها بالمرآتين صفاء وبريقاً ، ثم شبّهها بما تجمّع من الماء في نقرة صخرة تُتخذ مورداً وتابع التشبيه فشبه الحَجاجين بكهفين .

٤) الطحور : مبالغة الطاحر : الدافع ، الداحر . عوّار القذى : وسخ العين . المذعورة : صفة البقرة الوحشية المحذوفة . الفرقد : ولد البقرة الوحشية – المعنى : عيناها تطرحان وتبعدان القذى . ثم شبّهها بعيني بقرة وحشية لها ولدٌ وقد افزعها صائد او غيره ؛ وعين البقرة في هذه الحالة احسن ما تكون .

٥) صادقتا سمع : اي اذناها . التوجّس : الحذر من شيء . السُرى : سير الليل . الهَجْس : الحركة ، وفي رواية الشنتمري : لجَرْس . وهو الصوت الخفي . مندّد : رفيع .

٣٥ مُؤَلَّلتان ، تعرف العِتق فيهما ؛ كسامِعتَي شاةٍ بحَومَلَ مفرِدِ[1]

وأَروَعُ نبّاضٌ ، أحَذُّ ، مُلَملَمٌ ، كمِرداةِ صخرٍ في صفيحٍ مُصمَّدِ[2]

وأعلمُ مَخروتٌ من الأنفِ مارنٌ عتيقٌ ، متى ترجمْ به الأرضَ تَزدَدِ[3]

وان شئتُ ، لم تُرقِلْ ؛ وان شئتُ ، أرقَلَت ،

مخافةَ مَلوِيٍّ من القِدِّ مُحصَدِ[4]

وان شئت ، سامى واسطَ الكورِ رأسُها ،

وعامت بضَبعَيها نجاءَ الخَفَيدَدِ[5]

---

١) مؤلّلتان : صفة للاذنين ؛ اي دقيقتان ، محدّدتان من الألّة : الحربة . العِتق : النجابة . الشاة : الثور الوحشي . حومل : موضع من بني تميم ، على قول الهمداني . مفرد : وحيد صفة للثور الوحشي وهو ، اذا كان كذلك ، كان اشد حذرًا وارهف اذنًا

٢) الاروع : صفة للقلب المحذوف : يُسرع اليه الارتياع اي التوجّس والخوف . النبّاض : الكثير الحركة . الاحذّ : الخفيف ، السريع . المُلَملَم : المجتمع الخلق ، الشديد . المرداة : الاداة من الحجر تُكسر بها الصخور . الصفيحة : الحجر العريض . المصمّد : الموثّق . — المعنى : لها قلب يرتاع لادنى شيء ، سريع الحركة ، خفيف ، صلب كانه صخرة لتكسير الصخور ، وهو بين اضلاع تشبه الحجارة العريضة المحكمة .

٣) الاعلم : المشقوق الشفة العليا . مخروت : مثقوب . المارن : مالان من الانف . اي مثقوب من لدن انفه . متى ترجم به : الضمير للرأس اي متى ترمِ الارض برأسها تزدد سرعةً .

٤) الارقال : نوع من العدو يكون بان تنفض الناقة رأسها لشدّة السير . الملويّ : السوط المفتول . القِدّ : ما قُدَّ من الجلد . مُحصَد : شديد الفتل .

٥) الواسط : العود بين مورك الرحل ومؤخّرته : الكور : الرحل . عامت : سبحت . ضبعاها : عضداها . النجاء : السرعة . الخفيدد : ذكر النعام .

٤٠ على مثلها امضي ، اذا قال صاحبي :
الا ليتني أفديك منها ، وافتـدي ! [1]

وجاشت اليه النفس خوفاً ، وخاله مصاباً ، ولو أمسى على غير مَرْصَدِ [2]

اذا القوم قالوا : « من فتى ؟ » خلت أنني
عُنيتُ ، فلم اكسلْ ، ولم اتبلّدِ ،

احلتُ عليها بالقطيع فأجذَمت ، وقد خبَّ آلُ الأمعزِ المتوقّـدِ [3]

فذالت كما ذالت وليدة مجلسٍ ، تُري ربَّها أذيال سحلٍ ممدَّدِ . [4]

وصف نفسه : كريم ، يجمع بين الجدّ والهزل

٤٥ ولست بحلّالِ التلاعِ مخافةً ؛ ولكن متى يسترفدِ القومُ أرفِدِ [5]

---

١) منها : الضمير للفلاة المقفرة — المعنى : اني اسافر على مثل هذه الناقـة ، اذا دخلنا فلاةً مقفرة فخاف صاحبي وقال : نحن هالكون ليتنا نفتدى .

٢) يتابع تصوير حالة صاحبه الخـائف فيقول : ارتفعت نفسه من الخوف ، وظنّ انه هالك ، وان كان في موضع لا يرصده فيه العدوّ ، وما ذلـك الاّ لصعوبة الفلاة .

٣) عليها : الضمير للناقة . القطيع : السوط . اجـذمت : اسرعت . خبّ : جرى واضطرب . الآل : السراب الذي يُرى عند اشتداد الحرّ . الأمعز : الارض الغليظـة الكثيرة الحصى . المتوقّد : الملتهب بالحرّ .

٤) ذالت : ماست في مشيها ، جارّة ذيلها . السحل : الثوب الابيض — يقول : اذا ضربت الناقة أسرعت في الحرّ متبخترة في سيرها كما تتبختر جـارية صغيرة ترقص بين يدي سيّدها فتجرّ ذيل ثوبها الابيض .

٥) حلّال : مبالغة من الحلول : النزول بالمكان . التلاع : ج . تَلْعَة : مجرى الماء في الوادي او قرار الارض . يسترفد : يطلب الرفد : الاعـانة . — المعنى : لا انزل في الاماكن المنخفضة خوفاً من ان يراني الاضياف ، ولكني اعين كل من يطلب معونتي .

وان تبغِني في حلْقة القوم ، تلقني ، وان تقتنصْني في الحوانيت تصطدِ[١]

وان يلتقِ الحيُّ الجميعُ ، تلاقني الى ذِروة البيت الكريم المصمّد[٢]

وصف مجلس لهوه

متى تأتِني أصبَحْك كأساً رويّةً ، وان كنت عنها ذا غنًى ، فاغنَ وازدَدِ[٣]

نداماي بِيض كالنجوم ، وقينةٌ تروح الينا بين بُردٍ ومُجْسَدِ[٤]

٥٠ اذا نحن قلنا : « أسمِعينا ! » انبرت لنا على رسلها مطروفةً لم تشدَّدِ[٥]

اذا رجَّعت في صوتها ، خلت صوتَها تجاوبَ أظْآرٍ على رُبَعٍ ردي[٦]

---

١) الحوانيت : بيوت الخمّارين . ذكرنا هذا البيت حسب رواية الشنتمري . اما الزوزني فيروي : « وان تلتمسني في الحوانيت تصطد » ولعلّ الاولى اصوب لما فيها من الموافقة بين « تقتنصني » و« تصطد » .

٢) المصمّد : الذي يصمد اليه الناس اي يقصدون .

٣) أصبحك : إسقيك صبوحاً — هذا البيت غير مذكور في رواية الزوزني ، فاخذناه عن الشنتمري .

٤) بيض كالنجوم : اي احرار مشهورون ، وقد يكون وصفهم بالبياض لنقائهم من العيوب لان الابيض يكون نقياً من الدرن والوسخ . المُجسَد : الثوب المصبوغ بالجَساد وهو الزعفران .

٥) على رِسلها : على مهلها . مطروفة : فاترة النظر . لم تشدَّد : لم تجتهد ، اي انها تغني عفوًا دون تكلُّف .

٦) أظآر : ج . ظِئر : التي لها ولد . رُبَع : من وُلد الابل . ردي : هالك . — يقول : اذا طرّبت هذه المغنية في صوتها خلته اصوات نوق تتجاوب اذ ترى احد اولادها هالكاً . وهذا البيت غير مذكور في رواية الشنتمري .

درجة سكره – آراؤه في الحياة والموت

وما زال تشرابي الخمورَ ، ولذّتي ، وبيعي وانفاقي طريفي ومُتلَدِي ، [1]

الى ان تحامتني العشيرة كلّهـا ، وأُفردتُ إفرادَ البعيرِ المعبَّدِ ، [2]

رأيت بني غبراء لا يُنكرونني ، ولا أهلُ هذاك الطِراف الممدَّدِ [3]

•• الا أيُّهاذا اللائمي اشهد الوغى ،

وأن احضر اللذاتِ ، هل انت مخلدي ؟ [4]

فان كنتَ لا تسطيعُ دفعَ منيّتي ، فدعني ابادرْها بما ملكت يدي ؛ [5]

فلولا ثلاثٌ هنَّ من لذّة الفتى ، وجدِّك ، لم أحفِلْ متى قام عوّدي : [6]

فمنهنَّ سبقي العاذلات بشَربةٍ كُميتٍ ، متى ما تُعلَ بالماء تُزبدِ ، [7]

---

١) التشراب : الشرب الكثير. الطريف : المال المستحدث . المُتلد : المال الموروث .

٢) تحامتني : تجنّبتني . المعبّد : المطلي بالقطران دلالةً على انه مصاب بالجرَب . وهو يُبعَد ويعزل لئلا يعدي صحاح الابل.

٣) بنو غبراء : الغبراء : الارض واراد ببني غبراء : الفقراء . الطراف : قبة من أدم ، لا تكون الّا للاغنياء . الممدَّد : الذي مدّ بالاطناب . يقول : لما افردتني العشيرة رأيت الفقراء لا ينكرون احساني ، ولا ينكرني الاغنياء لانهم يحبّون صحبتي

٤) اشهد : يجوز فيها الرفع ، والنصب بأن مضمرة .

٥) تسطيع : أي تستطيع – الموت لا بدّ منه ، ولا معنى للبخل بالمال وترك الملذّات .

٦) وجدّك : الواو للقسم . العوّد : ج . العائد : الزائر في المرض . متى قام عوّدي : متى ذهبوا يائسين من حياتي اي متى متّ .

٧) سبقي العاذلات : اي شرب الخمر باكرًا قبل ان ينتبهن . كميت : الاحمر الضارب الى السواد . متى ما تُعلَ . . . : اي متى صبّ عليها الماء علاها حباب .

وكَرّي ، اذا نادى المُضاف ، مُحَنَّباً كَسِيدِ الغَضا ، نبَّهتَه ، المتورِّدِ ، [1]

٦٠ وتقصيرُ يومِ الدَّجْنِ ، والدجنُ معجبٌ ، ببهكَنَةٍ تحتَ الخِباءِ المعمَّدِ . [2]

نحره للنياق — موقفه من عمّه او الوصي عليه

وبركٍ هجودٍ قد أثارت مخافتي بوادِيَها ، امشي بعضبٍ مجرَّدِ [3]

فمرَّت كهاةٌ ذاتُ خَيفٍ ، جُلالةٌ ، عقيلةُ شيخٍ كالوَبيلِ يَلَنْدَدِ [4]

---

١) كرّي : عطفي . المضاف : المُلجأ . محنَّباً : صفة للفرس المحذوف : الذي في يده انحناء وهو مفعول به من كرّي . واذا نادى المضاف جملة اعتراضية . السيد : الذئب . الغضا : شجر خصّ الذئب به لانه يكون اخبث الذئاب . المتورّد : نعت الذئب : الذي يطلب الورد . — المعنى : ان الخصلة الثانية في لذة الفتى هي ان اسرع الى نجدة الملتجئ اليّ اذا ناداني ، فاعطف عليه فرساً في يده انحناء يعدو عدو ذئب يسكن بين الغضا ، اذا نبّهته وهو يريد الماء .

٢) يوم الدَّجن : اليوم يكون فيه غيم وندى وبعض المطر . ويكون تقصيره بأن يلهو فيه الانسان فيظهر قصيراً . البهكنة : المرأة الحسنة الخَلق . الخباء : المضرب . المعمَّد : المرفوع بالعمد . — والخصلة الثالثة هي ان احادث امرأة حسنة الخَلق في بيت مرتفع بالعمد اذا اصبحت في يوم غائم لا يمكنني فيه الخروج .

٣) البرك : الابل الباركة . الهجود : النيام . مخافتي : اي مخافتها اياي . بواديها : اوائلها — المعنى : وربّ ابل باركة نائمة رأتني امشي مجرّداً سيفي وقصدي ان انحر بعيراً منها ، فخافت مني وهربت اوائلها امامي .

٤) الكهاة : الضخمة المسنّة . الخَيف : جلد الضَرع . الجُلالة : الضخمة . عقيلة المال : افضله . الشيخ : يكاد يجمع الشرّاح على انــه يريد بالشيخ اباه . ولكن اذا انتبهنا لما ذُكر من ان اباه توفي ، اذ كان طرفة صغيراً ، وللبيت ٦٦ وفيه يقول ان ذاك الشيخ نهى القوم عن لوم طرفة قــائلًا ان النياق لــه ، رأينا انه قد يكون عمّه ، او احد اقربائه الوصيّ عليه . الوبيل : العصا ، شبّه بها الشيخ لضعفــه

يقول ، وقد ترَّ الوظيفُ وساقُها :

« ألستَ ترى ان قد أتيتَ بمؤيدِ ؟ » [١]

٦٥ وقال: « الا ماذا ترون بشاربٍ شديدٍ علينا بغيُه متعمّدِ ؟ » [٢]

وقال : « ذروه ! انما نفعها له !

وإلّا تكفّوا قاصيَ البرْكِ ، يَزْدَدِ ! » [٣]

فظلّ الإماء يمتللن حُوارَها ، ويُسعى علينا بالسَّديفِ المُسَرْهَدِ [٤]

ويبس جلده . يلندد : شديد الخصومة . — المعنى : بينا انا اقصد نحر الابل اذ مرّت بي ناقة كبيرة ضخمة وهي من افضل مال شيخ مسنّ ضعيف يابس الجلد كالعصا وشديد الخصومة .

١) يقول : الضمير للشيخ . ترّ : طنّ وسقط اذ ضربته بالسيف . الوظيف : ما بين الرسغ والساق . المؤيد : الداهية العظيمة الشديدة — لما رأى الشيخ اني عقرت تلك الناقة فسقط وظيفها وساقها ، قال : الا ترى انك اتيت بمصيبة بعقرك مثل هذه الناقة الكريمة ؟

٢) المعنى : قال هذا الشيخ للحاضرين : ماذا ترون في امر هذا السكران يعقر نياقنا وينحرها متعمّدًا وهو ظلم شديد ؟

٣) المعنى : وكأن هذا الشيخ بعد ان استشار اصحابه عاد فقال : « ولكن اتركوه يفعل ما يشاء فان هذه النياق ارثه وهو ينتفع بها . وعليه فارجعوا اليه تلك البعيدة ، فان لم تفعلوا ، غضب وازداد في عقره لها . »

٤) يمتللن : يشوين في المَلّة وهي الرماد الحارّ . الحُوار : ولد الناقة . السديف : السنام . المسرهد : المقطّع . بعد ان صبر الوصيّ عليه فتركه وشأنه ، اخذ بمتابعة وصف ذاك المجلس فقال ان الاماء كن يشوين لحم ولد الناقة في الرماد الحارّ . وينقل الخدم اليه والى اصحابه قطع اللحم المأخوذة من السنام . — وهو يشبه البيت ٦٦ من معلّقة امرئ القيس (الروائع ٧ : ٧) .

كريمٌ يروّي نفسه في حياته ؛ مخافةَ شربٍ في الممات مُصرَّدِ [١]

فذرني أروّي هامتي في حياتها ستعلم ان متنا،صدى اينا الصدي [٢]

٧٠ لَعَمرُكَ، إنَّ الموتَ،ما أخطأ الفتى، لَكالطِّوَلِ المُرخى، وثنياهُ باليدِ [٣]

أرى قبرَ نحّامٍ بخيلٍ بماله كقبرِ غويٍّ في البطالة مُفسدِ [٤]

---

١ و٢) في الروايات بعض الخلاف في ما يتعلّق بهذين البيتين فقد اورد الزوزني بيتاً واحداً على هذا الشكل :

كريمٌ يروّي نفسه في حياته ستعلم ان متنا غداً ، اينا الصدي

اما الذين يروون البيتين فيجعلون صدر الاول مع عجز الثاني ، وصدر الثاني مع عجز الاول ، وقد يقدّمون احدهما على الآخر .

على اننا رأينا من الموافق ايرادهما على هذه الصورة . وقد لاحظ ذلك المستشرق سليغسون (Seligsohn) في شرحه للمعلقة (ص١٠٢–١٠٣) . اما المعنى فهو : ٦٨– اني كريم اشفي نفسي واروّيها من الخمر خوفاً من ان يكون شربي مصرّداً اي مقطوعاً قبل الريّ بالممات . ٦٩ – الهامة : الصدى . الصدي : العطشان . يُشير طرفة في هذا البيت الى خرافة قديمة عند العرب مفادها ان طائراً اسمه الصدى او الهامة يخرج من رأس الميت ولا يزال يصيح : « اسقوني ! اسقوني » حتى يؤخذ بثاره . ولهذا سمّي صدى اي من العطش . يقول : دعني اروّي بالخمر هذه الهامة او هذا الطائر فستعلم ، اذا مُتنا ، صدى اي واحد منّا يكون اشدّ عطشاً .

٣) ما : مصدرية زمانية ، والمعنى : ان الموت مدّة اخطائه الفتى . الطِوَل : الحبل يطوّل للدابة فترعى وهي مربوطة به . ثنياه : طرفاه . – يقول : اقسم بحياتك ان الموت في مدة مجاوزته الفتى بمنزلة حبل يطوّل للدابة ترعى فيه وطرفاه بيد صاحبه . شبه الاجل بالحبل ، والفتى بالدابة التي لا تفلت منه .

٤) النحّام : الحريص على الجمع . الغوي : الضال – المعنى : لا فرق ، بعد الموت بين قبر الشحيح الحريص على ماله وقبر الكريم يجود به في سبيل غوايته ، وملاهيه .

ترى جُثوَتين من ترابٍ عليهما صفائح صمٌّ من صفيحٍ منضَّدِ[١]

اری الموتَ يعتامُ الكرامَ ، ويصطفي
عقيلة مالِ الفاحشِ المتشدِّدِ[٢]

اری الموت أعدادَ النفوس ، ولا اری
بعيدًا غدًا . ما اقربَ اليومَ من غدِ ![٣]

٧٥ اری العيشَ كنزًا ناقصاً ، كلَّ ليلةٍ ،
وما تنقُصِ الأيّامُ والدهرُ يَنفَدِ[٤]

عتابه لابن عمه مالك

فما لي اراني وابنَ عمي ، مالكاً ، متى ادنُ منه ينأَ عني ويبعُدِ !

يلوم ، ولا ادري على ما يلومني ،
كما لامني ، في الحيّ ، قُرطُ بن أعبَدِ[٥]

---

١) الجُثوة : الكومة من التراب . الصفائح : الحجارة العراض . المنضّد : المرصوف بعضه فوق بعض .

٢) يعتام : يختار . عقيلة كل شيء : انفسه . الفاحش : البخيل . — الموت يعمّ الاجواد والبخلاء .

٣) الاعداد : ج . العِدّ : الماء الكثير المورود — المعنى : كلّ نفس لا بد لها من ورود الموت . فان لم تمت في يومها فستموت في غدها . فأجلها ، وان تأخر الى الغد ، فهو قريب ، لقرب اليوم من الغد .

٤) العيش : وفي رواية الشنتمري : المال .

٥) قرط بن اعبد : رجل من حيّ طرفة كان يلومه على اكثاره من اللهو . يقول طرفة ان لوم ابن عمه له ظلمٌ صريح كما كان لوم ذاك الرجل

وآيسني من كل خيرٍ طلبتُـه ، كأنّا وضعناه الى رمسِ مُلحَدِ [١]

على غيرِ شيءٍ قلتُـه ، غير أنني نشدتُ فلم أُغفِل حَمُولةَ مَعبَدِ [٢]

٨٠ وقرّبتُ بالقربى ، وجدِّكَ إنني متى يكُ أمرٌ للنكيثةِ ، أشهدِ [٣]

وان أُدْعَ للجلّى ، أكنْ من حُماتِها ؛

وان تأتكَ الاعداء بالجَهْدِ ، أجهَـدِ ! [٤]

وان يقذفوا بالقذعِ عِرْضَكَ ، أسقِهم

بشربِ حياضِ الموتِ ، قبـلَ التهدُّدِ ! [٥]

بلا حدثٍ احدثته ، وكمحـدِثٍ ،

هجائي ، وقـذفي بالشكاةِ ، ومُطرَدي [٦]

---

١) وضعناه : ضمير الغائب يعود الى مالك في عرف الشنتمري ، والى الطلب في عرف الزوزني . الرمس : القبر . اللحد : الحفرة ان كانت في جانب القبر دعيت لحدًا ، وان كانت في الوسط دعيت ضريحًا . — المعنى : ان مالك قنّطني من كل خير رجوته منه حتى كأنّا رجونا ذلك من رجل ميت .

٢) نشدت : طلبت ، فتشت عن مفقود . الحمولة : الابل . معبد : اخو طرفة . وقد تقدّم ذكر الابل في المقدمة — يتابع القول السابق فيقول لم يكن مني ذنب في ذلك . ولكني طلبت ابل اخي ، ولم اتركها ، فجعل يلومني .

٣) النكيثة : المبالغة في الجهد . المعنى : اني قرّبت نفسي بسبب مـا بيننا من القرابة ، واني ، اقسم بحظّك ، انه متى حدث لك امرٌ عظيم يستدعي بـذل المجهود احضره فانصرك ٤) الجُلّى : الامر العظيم . بالجهد : بالمشقّة . أجهد : اي اجتهد في دفعهم عنك واعانتك .

٥) القَذع : الفُحش والسباب . التهدّد : التهديد . اي اذا سبّك الاعـداء قتلتهم دون أن اهدّدهم .

٦) بلا حدث . . . المعنى : فعل ابن عمي ما فعل من غير ان احدث اساءةً .

فلو كانَ مولايَ امرءًا هو غيرَه   لفرَّجَ كَرْبي ، او لَأَنْظَرَني غدي[1]

٨٥ ولكنَّ مولايَ امرؤٌ هو خانقي ،
على الشكرِ ، والتسآلِ ، او انا مفتدي ، [2]

وظلمُ ذوي القُربى اشدُّ مضاضةً   على المرءِ من وقعِ الحُسامِ المهنَّدِ [3]

فَذَرْني وخُلقي ، انني لكَ شاكرٌ   ولو حلَّ بيتي نائيًا عند ضَرْغَدِ . [4]

التلميح الى سيدين كريمين ، والتخلّص الى وصف نفسه

فلو شاءَ ربي ، كنتُ قيسَ بنَ خالدٍ ؛
ولو شاءَ ربّي ، كنتُ عمرَو بنَ مَرْثَدِ ؛ [5]

فجفاني ، وهجاني ، وشكاني ، وطردني ، كما يُجفى ويشكى ويُطرد المحدث اي الذي يجني ويأتي امرًا يستحقّ العقاب .

١) مولاي : اراد به ابن عمه . أَنْظَرَني : امهلني — اي : لو كان ابن عمي غير مالك لكان فرّج همي ، او ، على الاقل ، لكان امهلني الى الغد ولم يعجل عليّ .

٢) ولكن ابن عمي يضيّق عليّ سواءٌ شكرت له ، او سألت العفو ، او فديت نفسي منه .

٣) المضاضة : الحرقة والتأثّر .

٤) خُلقي : وفي رواية الشنتمري : وعِرضي . نائيًا : بعيدًا . ضَرْغَد : حرّة في ارض غطفان على الحدود بين نجد والحجاز . — اي اتركني وما انا عليه من الاخلاق والسجايا فاشكر لك هذه المنّة مهما كنت بعيدًا ، ولو عند تلك الارض المعروفة بضرغد .

٥) قيس بن خالد : المسمّى ايضًا « ذا الجدّين » من شرفاء بني شيبان بكر . وفي رواية الزوزني قيس بن عاصم وهو غلط ، لان هذا تميمي عاش في عصر النبي . عمرو بن مَرْثَد : من اقرباء طرفة . والرجلان مشهوران بكثرة المال ونجابة الاولاد

فاصبحت ذا مالٍ كثيرٍ ، وزارني بنون كرامٌ سادةٌ لمسوَّدِ . [1]

وصف نفسه : شجاعته

٩٠ انا الرجل الضَّرْبُ الذي تعرفونه خَشاشٌ كرأس الحيَّـة المتوقّدِ [2]

فآليتُ لا ينفكُّ كَشْحي بطـانةً لعضبٍ رقيقِ الشفرتَين مهنّـدِ [3]

حسامٍ ، اذا مـا قمت منتصراً به ،
كفى العودَ منه البدء ، ليس بمِعْضَـدِ [4]

اخي ثقةٍ ، لا ينثني عن ضريبـةٍ ،
اذا قيل : « مهلًا ! » قال حاجزُه : « قدي ! » [5]

---

١) سادة لمسوَّد : اللام تدل على الاصل : اي سادة ابناء سيِّد . المعنى : لو شاء الله لاصبحت في منزلة هذين السيّدين فكثر مالي ، واصبح لي اولاد كرام . وقد اورد الشنتمري : « وعادني بنون . . . » وشرح البيت بان طرفة يصبح مضيافًا فيأتيه الفتيان الكرام . اما نحن فاستندنا في شرحنا الى ما ذكره الزوزني ، والى ما يعرف للرجلين من الاولاد النجباء العديدين ، والى مـا ذكر من جواب عمرو ابن مَرْثد لطرفة اذ اعطاه مالًا وقـال له : « اما الاولاد فالله يعطيكم » — هذا ولعلّ الصواب في « وزارني » : وزادني فيكون ضمير الفاعل للربّ صاحب المشيئة المذكور في البيت السابق .

٢) الضَّرب : الخفيف اللحم . الخَشاش : الدخَّال في الامور لخفته وسرعته .

٣) الكَشح : الخاصرة . العضب : السيف القاطع .

٤) منتصرًا : منتقمًا . المِعْضَد : السيف الرديء الذي تُقطع به الاشجار . — المعنى : اذا اردت الانتقام من العدوّ ، استعملت هذا السيف القاطع الذي تكفي ضربته الاولى لبلوغ المرام فلا يحتاج الى استعماله لضربةٍ ثانية .

٥) اخي ثقة : صفة للسيف ، اي موثوق به . لا ينصرف عن ضريبـة : اي لا ينبو ، وهو اذا قيل لصاحبه : كفَّ عن الضرب ، اجاب : حسبي فقد بلغت ما اريد ، اي ضربة واحدة بهذا السيف تكفي . — وقد وضع الشنتمري البيت ٩٣ قبل ٩٢ .

اذا ابتدر القومُ السلاحَ ، وجدتَني منيعاً، اذا بَلَّت بقائمه يدي ! [١]

وصيته لابنة اخيه — فخره وتعريضه بمبغضيه

٩٥ فان متُّ ، فانعيني بما انا اهلُه وشقي عليَّ الجيبَ، يا ابنةَ مَعْبَدِ ! [٢]

ولا تجعليني كامرئٍ ليس همُّه
كهمّي ؛ ولا يُغني غنائي ومشهدي [٣]

بطيءٍ عن الجُلّى ، سريعٍ الى الخنا ،
ذليلٍ ، بأجماعِ الرجال ملهَّدِ . [٤]

فلو كنت وغلاً في الرجال ، لضرّني
عداوة ذي الاصحاب ، والمتوحّدِ ؛ [٥]

ولكن نفى عني الرجالَ جَراءَتي
عليهم ، واقدامي ، وصدقي ، ومحتدي . [٦]

١) المنيع : الذي لا يُقهر ولا يُغلب . بلَّت : ظفرت . بقائمه : الضمير للسيف الموصوف .
٢) ابنة معبد . هي ابنة اخيه .

٣) معنى البيتين : اندبيني بما استحقه ، ولا تسوّي بيني وبين رجل لا يكون همّه بطلب المعالي كهمي ، ولا يكفي كفايتي اي لا ينفع نفعي ، ولا يشهد المعارك كما اشهدها .

٤) الجُلّى : الامر العظيم . الخنا : الفحش والفساد . الاجماع : ج . جُمع : قبض الرجل اصابعه وشدّه ايّاها . ملهّد : مضروب ، ملكوز — البيت صفة ذاك الرجل الموصوف الذي لا يريد طرفة ان يُقاس به .

٥) الوَغل : الضعيف اللئيم . — المعنى : لو كنت ضعيفاً لضرّتني عداوة الرجل الذي له اصحاب يؤازرونه ، ولاضرّتني ايضاً عداوة الرجل المنفرد .

٦) نفى عني الرجال : اي ابعدهم عن مباراتي . المحتد : الاصل . . . وقد روى الشنتمري عجز هذا البيت على الصورة الآتية : وصبري ، واقدامي عليهم ، ومحتدي !

١٠٠ لعمركَ ما أمري عليَّ بغُمّةٍ نهاري ، ولا ليلي عليَّ بسرمَدِ ! [1]

ويومٍ حبستُ النفسَ عنـد اعتراكها

حفـاظاً على عوراتِهِ ، والتهدُّدِ ، [2]

على موطنٍ يخشى الفتى عنده الردى ،

متى تعتركْ فيه الفرائصُ تُرعَدِ . [3]

الختام

ستبدي لك الأيّامُ ما كنت جاهلًا ! ويأتيك بالاخبار من لم تزوّدِ ! [4]

ويأتيك بالاخبار من لم تبعْ له بتاتاً ، ولم تضربْ له يومَ موعِدِ ! [5]

---

١) الغُمّة : الغم ، الامر المبهم الذي لا يهتدى له . — المعنى : لا يتردّد في قضاء اموره بالنهار ، ومن ثمّ لا يشغل باله في الليل فيمتنع عليه النوم .

٢) العورات : جـ . عورة : الفعلة القبيحة كالانهزام ونحوه . التهدد : اي تهدّد الاعداء — المعنى : وربَّ يومٍ حبست فيه نفسي على القتال محافظةً وانفةً من قبح الاحدوثة وتهدّد الاعداء اياي .

٣) وكان ذلك في مشهد من مشاهد الحرب يخاف الرجل فيه من الهلاك ، ويفزع حتى ان فرائصه ترتعد .

٤) من لم تزوّد : من لم تعطِه زوّادة اي مؤونة الطريق ليبحث لك عن الاخبار

٥) لم تبع له : اي لم تشترِ له . البَتـات : كساء المسافر . والبيت على نحو البيت السابق .

لبيد بن ربيعة

٥٦٠ ؟ ـ ٦٦١ ؟

سيّد وقور ، وشاعر مشهور ، وحكيم مجرّب . أثرت شخصيته المثلّثة في معاصريه فاحترموها ، وتجاوز تأثيرها الى خلفهم فحاموا حولها بالروايات والاخبار ، حتى تألفت من ذلك اساطير تكاد اليوم تحول بيننا وبين الحقيقة ؛ فرأينا ، قبل الكلام عن الشاعر ، ان نمحّص هذه الاساطير واحدة فواحدة :

اسطورة الـ١٤٥ سنة

عاش لبيد حتى سئم طول حياته ، واشتهر بين المعمّرين فذكره السجستاني في كتابه المعروف[1] ، ونسب له الرواة عدّة ابيات في ايامه الطويلة منها واحد قاله ، على ما يُروى ، وهو ابن سبعين :

كأني ، وقد جاوزت سبعين حجة خلعت بها عن منكبيّ ردائيا ! (٢

وآخر قاله في السابعة والسبعين :

باتت تشكّى اليّ الموتَ مُجهِشةً وقد حملتكِ سبعاً بعد سبعينا (٣

وثالث قاله في العاشرة بعد المئة :

---

١) السجستاني : كتاب المعمّرين — طبعة Goldziher — الفصل ٦١

٢) هذه رواية الاغاني ١٤ : ٩٤ و ١٠٠ — وفي رواية اخرى « تسعين » بدل « سبعين » ؛ وفي ملحق الديوان الذي طبعه Brockelmann (ص٥٩) « عشرين ».

٣) الاغاني : ١٤ : ٩٤ و ١٦ : ١٦٥ — ويروى البيت لعمرو بن قميئة

أليس في مائةٍ قــد عاشها رجلٌ   وفي تكامل عشرٍ بعدها عُمُرُ [1]

فسارت الاخبار في تعدّد سني الرجل، وكل يزيد شيئاً حتى بلغ البعض بحياة لبيد ١٤٠ سنة ، وبلغ البعض الآخر ١٤٥ ، وعلى هذا معظم الرواة واكثر العصريين . وكأن النعساني لم يكتفِ بهذا العمر الكامل فأضاف الى لبيد شيئاً من عنده ، ولم يُمِته الّا بعد ان توفّى ١٥٧ سنة[2]

اما الرواة فلا نستطيع لومهم والمرء مولعٌ بنقل الغريب ، والتفكّه بالنادر ، وقد كان لهم عذرٌ بشهرة الشاعر بين المعمّرين وبما نُسب اليه من الشعر . واما المعاصرون من مؤرّخينا فعليهم يقع كل اللوم ، لا لانهم لم يشكّوا في رواية الاقدمين ، بل لانهم لم يقابلوا بين الروايات المتعدّدة فيستخلصوا منها شيئاً قد يكون اقرب للحقيقة مما نقلوا باستنادهم الى رواية واحدة . فهذا الاتكال على قول واحد ، وهـذا الميل الى اعتماد الغريب من الاخبار دون عرضه على ما عساه ان يصححه ، هو ما نأخذه على كتبة عصرنا اذ يؤرخون الاقدمين .

كان من اللازم ، قبل ان ننقل ان لبيـداً عاش ١٤٥ سنة او ١٥٧ سنة ، ان ننتبه لامر مقرَّر ، وهو ان شاعرنا مات في اول خلافة معاوية سنة ٤٠ للهجرة[3] او ٤١[4] او ٤٢ ، وهي تقابل ٦٦٠–٦٦١ مسيحية . فاذا قيّدنا ذلك ، فلنذكر ان الرواة مجمعون ايضاً على ان لبيداً كان غلاماً لما قدم في وفدٍ من قومه على النعمان بن المنذر ونحن نعلم ان النعمان ملك من سنة ٥٨٠ الى ٦٠٢ على اصحّ تقدير . فاذا سلّمنا ان قدوم هذا الوفد

---

١) الاغاني ١٤ : ٩٣ و ١٠٠ ؛ العقد الفريد ١ : ٣٢٤

٢) بدر الدين النعساني : نهاية الارب من شرح معلقات العرب ، ٩٦

٣) ابن سعد : الطبقات ٦ : ٢١   ٤) ابن حجر ٣ : ٦٥٧

العامري على النعمان كان في اول ملكه ، واذا سلّمنا ان لبيداً كان عمره اذ ذاك نحو العشرين على الاكثر ، لان الرواة يجمعون ايضاً على القول ان النابغة اعجب بشعره وهو غلام بعد ، والنابغة من جيل النعمان ، استنتجنا ان ولادة لبيد لا يمكن ان تتقدّم السنة ٥٦٠ . وعليه فيكون شاعرنا من المعمّرين حقاً ، ولكنه لم يتجاوز المئة سنة الّا قليلاً . ومن ثم يكون الفرق بين الحقيقة وذاك الكلام الملقى على عواهنه نحو ٤٥ سنة ، وهي حقبة تُذكر في حياة انسان واحد .

اسطورة اغتيال المنذر بن ماء السماء

ومن الكلام المُلقى جزافاً ما تناقله الكثيرون ممن كتبوا في عصرنا عن لبيد[1] من ان الحرث الاعرج الغساني ارسله في مائة من اقوياء الفتيان لاغتيال المنذر بن ماء السماء . وليس الذنب في نشوء هذه الاسطورة لقدماء الرواة ، فانهم لم يذكروا ان ذاك الفارس المُرسل كان لبيد بن ربيعة ، بل ذكر بعضهم انه كان لبيد بن عمرو ، واكتفى آخرون باسم لبيد . على ان الذنب لمن تحدّاهم من غير المدقّقين ، فرأوا اسمين متشابهين فجعلوا الشخصين واحداً ، دون ان ينتبهوا لعشرات السنين الفاصلة بين ملك المنذر بن ماء السماء ، الذي أُرسل لبيد بن عمرو لاغتياله ، على ما يُقال — والصواب لاغتيال ابنه المنذر بن المنذر بن ماء السماء — وبين ملك النعمان ابن المنذر صاحب النابغة الوافد عليه لبيد بن ربيعة شاعرنا[2] .

---

١) كالشيخ مصطفى الغلاييني : رجال المعلقات العشر ص : ١٦٠–١٦١ والشيخين احمد الاسكندري ومصطفى عناني : الوسيط ، ص ٨٦

٢) اشار الى هذا الوهم محمد بهجة الاثري في الزهراء ٤ : ٢٧٥ — ٢٧٧

اسطورة هجره الشعر بعد اسلامه

واسطورة ثالثة يجمع مؤرّخي لبيد على الايمان بها، هي القول انه هجر الشعر بعد اسلامه حتى انه لم يقل الّا بيتاً واحداً . وهم يختلفون على هـذا البيت فمنهم من يقول هو :

الحمـد لله اذ لم يأتني اجلي   حتى اكتسيت من الاسلام سربالا

ومنهم من يقول بل هو :

ما عاتب الحرّ الكريم كنفسه   والمرء يصلحه الجليس الصالحُ

ثم يعدّدون الحوادث والنوادر المؤيّدة لهذا الامر ينقلونها عن الاغاني او عن طبقات ابن سعد . ونحن لا نلومهم فقط على قبول كل هذه الروايات دون تحفّظ ، بل نلومهم على اعراضهم عن درس شعر لبيد عنـد الكتابة عن لبيد . لاننا لا نتصور ان انساناً يمكنه ان يكتب كتابة قيّمة مفيدة عن حياة شاعر دون ان يقرأ شعر هـذا الشاعر . والواقع ان اكثر مؤرّخي لبيد لم يقرأوا ديوانه . والّا لما اقرّوا تلك الرواية[1] ، وفي ديوانه قصـائد قالها قبيل وفاته[2] — وقد عاش بعد اسلامه اكثر من ٣٠ سنة — وفي ديوانه قصائد عديدة في الدينيات والاخلاق من المرجّح انه لم ينظمهـا قبل ان يعرف القرآن .

اما وقد بددنا بعض الاوهام الناتجة عن الاساطير القديمة ، فلنلخص ما نعرفه عن لبيد رجلاً وشاعراً :

---

١) كما فعل جرجي زيدان ١ : ١١١ ؛ والاسكندري والعناني : ٨٧

٢) اطلب ديوانه ، طبعة بروكلمن — ص ١ ، ٤٥

الرجل

قبل اسلامه (٥٦٠ ؟ — ٦٣٠ ؟)

اسمه ونشأته — عند النعمان

ابو عقيل لبيد بن ربيعة، بن مالك ، بن جعفر، بن كلاب . . . العامري من هوازن قيس . كان ابوه يُعرف « بربيعة المقترين » دلالـةً على جوده ، وعمه عامر بن مالك « بملاعب الاسنة » دلالة على بطشه . فاخذ لبيد الجود عن الاول والجرأة عن الثاني ، ونال مركزًا حسناً في قبيلتـه منذ صباه .

وكان ان حصل خلاف بين العامريين والعبسيين — وهؤلاء اخوال لبيد — فقدم وفد من بني عامر على النعمان ، وعنده الربيع بن زياد العبسي يؤاكله وينادمه . فاوغر هذا صدر الملك على اعدائه العامريين حتى انه لم يحفل بهم ، ولا اكترث لمطاليبهم . فغضبوا لذلك وفكروا فيا عساهم ان يعملوا . فعرض عليهم لبيد ان يهجو الربيع بحضرة النعمان ، فترددوا اولًا استخفـافاً به لصغر سنه ، ثم قبلوا . فانشد خمسة ابيات من الرجز[1] بغّضت النعمان بالربيع حتى طرده ، واكرم وفد العامريين .

وقد يكون النابغة صادف لبيدًا عنـد النعمان اذ رأى الشاعرية في عينيه فسأله هل يقول شيئاً . وبعد ان انشده لبيد بعض قصائده ، قال : « اذهب فانت اشعر من قيس كلها ! »

مقتل اخيه اربد (٦٣٠)

وعاش لبيد عيش السادات ينجد الضعيف ويقري الضيوف ، ينظم في اغراض الفخر والوصف وما شاكل ، مترفعاً عن التكسب بشعره ؛ الى ان

---

١) اطلب الابيات في الديوان — طبعة بروكلمن — ص ٧–٨

الى الاسلام . فانتظر بنو عامر مدة حتى اذا رأى حزب محمد يقوى ونفوذه يمتدّ ، ارسلوا وفدًا منهم الى المدينة للمداولة بشأن الدخول في الدعوة الجديدة . وكان في الوفد اربد بن قيس، اخو لبيد لامه ، فوصل المدينة في جمادى الثانية سنة ٨هـ . (اواخر ٦٢٩)[1] ولكنه لم يتفق مع محمد على شيء ، فرجع . وبينا هو في الطريق، سقطت عليه صاعقة فقتلته . وهو حادث يدعمه ما قاله لبيد في رثائه ، ومنه :

فجّعني الرعدُ والصواعق بالفا رس، يوم الكريهة ، النجُدِ (٢

اما ما يُروى من ان اربد كان قاصدًا اغتيال النبي فعوقب بالصاعقة ؛ فهو زعم يجرحه اولًا كون اربد صُعق بعد رجوعه من المدينة . ثانياً كون لبيد خصّ به كثيرًا من المراثي . ولو كان الزعم صحيحاً لما فعل ذلك .

بعد اسلامه (٦٣٠ ؟ — ٦٦١ ؟)

اما سنة دخول لبيد الاسلام فلا يذكرها احد بالتدقيق . فبعضهم يشير الى انه اسلم عندما دخل المدينة ملتمساً دواء لعمه فسمع تلاوة القرآن فاعجبته ، فيكون هذا بعد رجوع عمه من عند محمد ، اي في اواخر السنة ٦٢٩ ، ويشير غيرهم الى ان العامريين ارسلوا وفدًا ثانياً الى محمد سنة ٩ هـ . (٦٣٠) وعليه لبيد فحصل الاتفاق . وقد يكون لبيد أسلم آنذاك . وكلا الروايتين محتملة ، وتفيد ان لبيدًا عاش في الاسلام ٣١ سنة على الاكثر ، لا ٤٠ ، ولا ٥٥ ، كما يقول المؤرخون عادة .

وبعد اسلامه انتقل الى الكوفة واقام فيها على عادته من نظم الشعر والكرم ، الى ان توفي بعد ان شبع من الحياة حتى سئم منها فقال :

---

١) اطلب في ذلك Caetani, *Annali*, *II*, 90 ٢) الديوان (الخالدي) ١٧

ولقد سئمت من الحياة وطولها   وسؤال هذا الناس كيف لبيدُ ! (١

الشاعر

آثاره

للبيد ديوان معروف شرحه الكثيرون من علماء اللغة ذكر منهم صاحب الفهرست السكّري ، والشيباني ، والاصمعي ، وابن السكيت ، والطوسي . ولكن لم يصلنا من جميع ذلك الا نحو نصف شرح الطوسي في مخطوطة طبعها لاول مرة في ڤينا يوسف ضياء الدين الخالدي المقدسي سنة ١٨٨٠ . وفيها ٢٠ قصيدة تمثل الجزء الثاني من الديوان . وقد أُردف بها ما يُعرف من الديوان مع ترجمته وترجمة القسم الاول الى الالمانية بعناية المستشرق هوبر (A. Huber) وعليه مقدمة في حياة لبيد . وطبع كل ذلك في ليدن سنة ١٨٩١ بعناية المستشرق بروكلمن (C. Brockelmann) . على ان ما يهمنا من قصائده في هذا الدرس هو

المعلقة

اقسامها

تُعدّ معلّقة لبيد الرابعة بين المعلقات السبع ، وهي من الكامل تحتوي على ٨٨ بيتاً يمكننا تقسيمها كما يلي :

١ — وصف الديار المقفرة والاطلال البالية وما فعلت بها الامطار (١—١٠)
٢ — تخلّص الى الغزل بأن سأل الاطلال عن اهلها ووصف ارتحالهم (١٠—١٦)
٣ — ذكرَ نوار وبعد مقرّها (١٦—٢٠)
٤ — ثم انثنى فاثار على نفسه بقطع اللبانة ممن يصرم العهد (٢٠—٢٢)
٥ — متخلصاً الى وصف الناقة التي يسافر عليها ، وهو اهم قسم في المعلقة . فشبهها :

١) الديوان (الخالدي) ٣٥

ا – بالغمامة الحمراء (٣٢–٣٥)

ب – بالاتان الوحشية (٣٥–٣٦)

ج – بالبقرة الوحشية التي افترس السبع ولدها (٣٦–٥٥)

٦ – عاد الى ذكر نوار فوصف لها نفسه :

ا – اباءه (٥٥–٥٧)

ب – لهوه وشربه للخمر (٥٧–٦٣)

ج – بطشه وسرعة جواده (٦٣–٧٠)

د – لمح الى المناظرة في مجلس النعمان (٧٠–٧٣)

ه – كرمه (٧٣–٧٨)

٧ – ينتهي الى مدح قومه والفخر بهم (٧٨–٨٨)

طبعاتها وشروحها

للمعلقة طبعات وشروح عديدة ذكرنا اشهرها عند ذكرنا معلقة امرئ القيس ، ومعلقة طرفة فليراجع ذلك من شاء . اما ما اختص من ذلك بعلقة لبيد وحدها فهو طبعة دي ساسي ونقله اياها الى اللغة الفرنساوية المنشورة في آخر طبعته لكتاب كليلة ودمنة (S. de Sacy, *Fables de Bidpay*, *Paris*, *1816*)

قيمته

للبيد قيمة كبيرة عند قدماء الادباء ، وقد قدمه بعضهم بحجة انه « افضلهم في الجاهلية والاسلام واقلهم لغوًا في شعره »[1] وجعله غيرهم في الطبقة الثالثة مع النابغة الجعدي ، وابي ذؤيب ، والشمّاخ[2] . وقد ذكرنا في ما تقدّم حكم النابغة له على شعراء قيس جميعهم . وهناك حكم للبيد على نفسه يتناقله الادباء ، وقد لا يخلو ذكره من فائدة وفكاهة : قيل انهُ كان مارًّا بالكوفة في اخر حياته . فسئل : « من اشعر العرب ؟ »

١) القرشي : الجمهرة ، ٦٤   ٢) الجمحي : طبقات الشعراء ، ٣٦

فقال : « الملك الضلّيل ! » فقيل : « ثم من ؟ » فقال : « الغلام القتيل ! »
قيل : « ثم من ؟ » قال : « الشيخ ابو عقيل ! »

هذا قليل من كثير من احكام القدماء على لبيد ونحن اذا تدبرنا شعره ، تتجلى لنا قيمته في ثلاثة مظاهر : اولًا من حيث الوصف ، فانه يظهر مقدرة نادرة في دقته والاحاطة بجميع صور الموصوف ، لاسيما في المعلقة ؛ وهي صفة الشعر الجاهلي اجمالًا الّا ان لبيدًا يفوق اكثر زملائه باثارة تذكارات الديار القديمة ، وتحديد المحالّ اثناء السفر ، حتى انه يمكن دارس شعره ان يعيّن بالاستناد الى احدى قصائده[1] ، دليل رحلة من قلب بلاد العرب الى شاطئ خليج فارس . ثانياً من حيث رقة العواطف في الرثاء . فانه ، وان لم يبلغ شأوَ المهلهل في ذلك ، فهو يظهر الشيء الكثير من طبيعة الحزن والاخلاص ، قارناً الى الرثاء بعض اساليب التعزية والحكم العامّة . ولهذا وضعناه بعد الخنساء والمهلهل[2] . وهناك صفة ثالثة يكاد يمتاز بها لبيد على سائر الجاهليين الا وهي السموّ بشعره الى ما وراء الطبيعة ، وايراد الحكم السامية ، لا بطريقة بشرية كطريقة زهير بن ابي سُلمى ، ولا بطريقة تصويرية اخبارية كطريقة امية بن ابي الصلت ، ولا بطريقة تشاؤمية تدلّ على الفناء فحسب كطريقة عديّ بن زيد . بل هو يقرن بين هذه الطرائق الثلاث ويسمو بها جميعاً الى مصدر العدل والتعزية ، الى الله ؛ فيؤمن به ايماناً متيناً ، ويتكل على عنايته اتكالًا وثيقاً حتى انه يمكننا القول ان لبيد خالق الشعر الوعظي ، بكل ما فيه من قوة عاطفة وشدّة تأثير .

---

١) الديوان (الخالدي) ص : ١٣٦–١٤٤

٢) الروائع ٣ : ح

المعلقة

وصف الديار المقفرة بعد رحيل الاحبة

١ عَفَتِ الديارُ محلُّها فمقامُها «بمِنًى» تأبَّد «غَوْلُها» «فرِجامُها»[1]

فمدافِعُ «الريّانِ» عُرّي رسمُها خَلَقًا ، كما ضَمِنَ الوُحِيَّ سِلامُها[2]

دِمَنٌ ، تجرَّم بعد عهد أنيسها حِجَجٌ خَلونَ ، حلالُها وحرامُها[3]

رُزقت مرابيعَ النجوم ، وصابها وَدْقُ الرواعد : جَوْدُها فرِهامُها[4]

---

١) عفت : درست وامحت ، والفعل لازم ومتعدّ . المحلّ : الموضع يتنزل به لايام قليلة . والمقام : ما طالت الاقامة به ، وهما بدل من الديار . منىً : اسم موضع في ديار بني عامر ، وكذلك الغَول والرجام : موضعان . تأبّد : توحّش — المعنى : امحت ديار الاحبة : ما كان منها للحلول وما كان للاقامة بمنى ، وتوحّش الموضعان المذكوران لبعد الاحبة عنهما .

٢) مدافع : ج . مدفع : مجرى الماء . الرَّيّان : اسم جبل . الخَلَق : القديم البالي وهو منصوب على الحال من الرسم . الوُحِيّ : ج . الوَحي : الكتابة . السِلام : ج . السَلِمَة : الحجر — يتابع الوصف فيقول : توحّشت ايضاً مجاري المياه في جبل الريّان ، فعرّت رسمَها السيول حتى اصبح بالياً ، ولكنه لم يُمحَ تماماً ، بل بقي ظاهراً كما تظهر الكتابة في الحجارة .

٣) الدِمَن : ج . الدِمْنة : ما سُوّد من آثار الدار بالرماد والبعر وغير ذلك . تجرّم : انقضى بتمامه . حجج : ج . حِجة : سنة . حلالُها وحرامُها : اي اشهر الحلّ فيها واشهر الحرم ، وهي بدل من حجج — المعنى : ان هذه الاثار المسودّة بعد عهد اهلها بها فانقضى على ذلك عدة سنين بكاملها .

٤) مرابيع النجوم : الانواء الربيعية مفردها : مرباع . وفي رواية الاصمعي : مرابيع السحاب . الوَدق : المطر . الجَود : المطر الغزير . الرِهام : المطر اللين — المعنى : رزقت تلك الديار او الدمن الامطار الربيعية ثم امطار السحائب ذوات الرعد من غزير ولين .

• من كلّ سارية ٍ وغـادٍ مُدْجِنٍ ... وعشيّة ٍ متجاوبٍ إرزامُهـا [1]

فعلا فروعُ الأيهقانِ ، وأطفلت ... بالجَلْهَتَينِ ظِباؤها ونعـامُها [2]

والعِينُ ساكنةٌ على أطـلائِها ... عُوذًا ، تأجّلُ بالفضـاء بِهامُها [3]

---

١) السارية : السحابة الماطرة ليلًا . الغادي : السحاب الممطر بالغداة . المُدْجِن : المطبق حتى يغطّي آفاق السماء . الارزام : الصوت والمراد به صوت الرعد . — يفصّل في هذا البيت انواع السحب التي امطرت الديار

٢) الأَيْهقان : ضرب من النبت يطول وهو عريض الورق ، احمر الزهر ، يؤكل ، واحدته : أيهقانة . او هو الجرجير البرّي . أطفلت : صارت ذوات اطفال . الجلهتان : مثنى الجلهة : جانب الوادي . — كان من تأثير تلك الامطار أن طـالت فروع هذا النوع من النبات ، وولدت ظباؤها وباضت نعامها فافرخت ، وذلـك ايضاً لخلوّ المكان من السكّان فأمن الوحش فيها . — وقد عطف النعام على الظباء ، مع ان النعام تبيض ولا تلد . وقد ورد مثل ذلك في شعر العرب ذكر منه الزوزني قول الشاعر :

إذا ما الغانيات برزنَ يوماً ... وزجّجنَ الحواجب والعيونا

اي وكحلن العيون . وقول الآخر :

تراه كأنَّ اللهَ يجدعُ أنفـه ... وعينيهِ ، إن مولاه صار له وفرُ

اي : ويفقأ عينيه . وقول الآخر :

يا ليت زوجَكِ قد غدا ... متقلّدًا سيفاً ورمحـا

اي : وحاملًا رمحًا

٣) العِين : ج . عيناء : صفة للبقرة الوحشية الواسعة العينين . أطلاء : ج . طلا : ولد البقرة الوحشيّة . العُوذ : ج . عائذ : الحـديثة النتاج . تأجّل : تصير آجالًا : ج . إجْل : القطيع من بقر الوحش . البِهام : ج . بَهْمة : ولـد الضأن والمقصود بها هنا ولد البقرة الوحشية لانها تُجرى مجرى الشاة . — يتابع وصف ما صار بالوحوش بعد تلك الامطار فيصف البقرات الوحشيـة عاكفة ترضع اولادها ، حال كونها حديثات النتاج ، واولادها تصير قطعانًا في تلك الصحراء .

وجلا السيولُ عن الطلول ، كأنها   زُبُرٌ تُجِدُّ متونَها أقلامُها [1]

او رجعُ واشمةٍ أُسِفَّ نؤورُها   كِفَفاً تعرَّضَ فوقهنَّ وِشامُها [2]

التخلّص الى الغزل : سؤال الاطلال عن اهلها

١٠ فوقفت اسألُها ! وكيف سؤالنا   صُمّاً خوالدَ ما يبينُ كلامُها ! [3]

عَرِيَت ، وكان بها الجميع فأبكروا
منها ، وغُودر نُؤْيُها وثُمامُها [4]

شاقتك ظُعن الحيّ ، حين تحمّلوا ،   فتكنَّسوا قُطُناً ، تصرُّ خيامُها [5]

---

١) جلا : كشف . زُبر : ج . زَبُور : الكتاب . تُجِدّ : تُجدّد – المعنى : كشفت الامطار التراب والاوساخ عن تلك الآثار الباقية فظهرت كأنها كتب كانت غابت فيها الكتابة لطول العهد ، فاتت السيول كأنها اقلام جدّدت كتابة تلك السطور .

٢) الرَجع : الترديد والتجديد . الواشمة : التي تشم . اسفّ : ذرّ . النَؤور : الكحل الذي تذرّه الواشمة على الجرح . الكِفَف : ج . كِفَّة : الدارة في الوشم . تعرّض : ظهر . الوشام : ج . الوشم . – المعنى : او كأن تلك السيول ، في كشفها عن الآثار ، واشمة عمدت الى وشمٍ قد ضعف اثره في اليد فاعادته بان ذرّت الكحل على داراته ، فظهر واضحاً .

٣) اسألها : ضمير المفعول للاطلال . الصُم : ج . الاصمّ : الصلب . خوالد : باقية – بعد ان يذكر انه وقف يسأل الاطلال عن اهلها الذين ارتحلوا ، يقول : وما الفائدة من سؤال ما لا يجيب ؟ . . .

٤) عريت : إي خلت من اهلها . النُؤي : مجرى يُحفر حول الخباء لينصبّ فيه الماء فلا يدخل الخباء . الثُمام : ضرب من النبات لين ضعيف تُسدّ به خصاص البيوت

٥) شاقتك : دعتك الى الشوق . الظُعن : ج . ظعينة : المرأة المسافرة في الهودج . تكنَّسوا : دخلوا الكناس وهو ، في الاصل ، بيت الظبي اراد به الهودج . قُطُناً : اما ان يكون جمع قطين وهم الجماعة ، واما ان يكون المراد به ان الهوادج

من كلّ محفوفٍ يُظلّ عصيَّه زوجٌ عليه كِلّةٌ وقِرامُها [١]

زُجَلًا، كأن نعاجَ «تُوضِح» فوقها،
وظباء «وَجْرَة»، عُطَّفًا أرآمُها [٢]

١٥ حُفِزت، وزايلها السراب، كأنها
اجزاعُ «بيشة»: أثلُها ورضامُها [٣]

ذكر نوار

بل ما تذكَّرُ من نَوار، وقد نأت، وتقطَّعت اسبابُها ورِمامُها؟ [٤]

كانت من القطن. تصرّ: تصوّت. — المعنى: هاج لك الشوق نساء الحيّ حين دخلن هوادج من قطن (او مع الجماعة الراحلين)، فارتحلن تعجل جِنّ الابل فيهتزّ خشب الخيام فيسمع له صوت. وقيل انما الخيام تصرّ لانها جديدة.

١) محفوف: صفة للهودج اي جعل القماش على أحفّته. عِصيّه: عيدانه. زوج: نوع من البسط تطرح على الهودج لتمنع نفوذ حرارة الشمس. الكلّة: الستر الرقيق، وهو ما نسميه اليوم بالناموسية. القِرام: الستر فيه نقوش — والبيت وصف الهوادج وما عليها من الاغطية اتقاء حرّ الشمس في النهار، ودفعًا للبعوض والبقّ في الليل.

٢) زُجَل: ج. زُجلة: جماعة. النعاج: البقر الوحشية. توضح ووَجرة: موضعان. عطّف: ج. عاطف: اي متحننات على اولادهنّ. أرآم: ج. رئم: الظبي الابيض. — المعنى: ارتحل هؤلاء النساء، جماعات جماعات، فكأنهن، في حسن عيونهنّ، بقرات وحش او ظباء تعطف على اطفالها

٣) حُفزت: دُفعت، واستُحثّت في السير. والضمير للابل. زايلها: فارقها. السراب: ما يلوح للناظر عند الظهيرة كأنه ماء وليس بذلك. اجزاع: ج. جَزع: منعطف الوادي. بيشة: اسم وادٍ. الاثل: نوع من الشجر ضخم عالٍ. الرضام: الحجارة العظام، الواحدة، رَضمة. — المعنى: لما ضُربت هذه الابل بالسياط، اسرعت السير حتى فارقها السراب اي تعدّته، فبانت كأنها بما عليها، اشجار عالية او حجارة ضخمة في منعطف الوادي

٤) بل: للاضراب استعملها لينتقل من صفة الديار الى صفة المرأة التي يتغزّل

مرّية حلّت «بفَيد» ، وجاورت
اهل «الحجاز» ، فاين منك مرامها ؟ [1]

بمشارق الجبلين ، او «بمحجّر» فتضمّنتها «فردة» «فرُخامُها» ؟ [2]

«فصُوائقٌ» ، إن ايمنت فمظنّة
منها ، «وِحافُ القهر» ، او «طِلخامها» [3]

٢٠ فاقطع لُبانة من تعرّض وصلُه ؛ ولشرُّ واصلِ خُلّةٍ صرّامُها ! [4]

واحبُ المجامل بالجزيل ، وصُرمُهُ باقٍ ، اذا ظلعت وزاغ قِوامُها [5]

بها واسمها نوار . نأت : بعدت . الاسباب : ج . سبب : الحبل . الرمام : ج . الرُّمّة : قطعة الحبل البالية . — المعنى : اي شيء تتذكر من نوار وقد بعدت عنك وتقطعت كل صلة لك بها من متينة وضعيفة

١) مرّية : نسبة الى بني مرّة . فيد : موضع في طريق مكة — المعنى : ما طلبك لهذه المرأة وهي من بني مرّة اي ليست من اهلك ، وقد نزلت بفيد بعيدة عنك ، فجاورت اهل الحجاز اعداءك — ثم وصف بالبيتين التاليين تنقّلها في بلاد العرب

٢) الجبلان : اي اجاء وسلمى . جبلا بني طيء . المحجّر : موضع وقيل جبل حوله رمل حجّر به . فردة : جبل منفرد والى جنبه ارض رُخام قال ابن السكيت : هو موضع غليظ كثير الشجر

٣) مظنّة الشيء : حيث يُظنّ ان يكون . صوائق ، ووحاف القهر ، وطلخام : مواضع . ايمنت : اتت اليمن — المعنى : ان اتجهت نحو اليمن فيظنّ انها تنزل وحاف القهر ، او طلخام ، وكلاهما من صوائق

٤) اللبانة : الحاجة . الخُلّة : المحبة . الصرّام : القطّاع . — المعنى : يخاطب نفسه فيقول : بعد ان ذكر هجر نوار اياه وبعدها عنه ؛ اقطع حاجتك ممّن تركك ، ثم اردف قائلًا : وشرّ الناس من يقيم على المحبة حتى تتمكّن اصولها ثم يقطعها !

٥) المجامل : المصانع . الذي يظهر لك الجميل والمودّة . صُرمُه : قطعه ، والواو للحال . ظَلَعت : انحرفت في سيرها . — المعنى : قابل من يُظهر لك الجميل

وصف الناقة

بطليحِ اسفارٍ تركنَ بقيّةً   منها ، فأحنق صُلبُها وسنامُها [١]

تشبيهها بالغمامة الحمراء

واذا تعالى لحمها ، وتحسّرت ،   وتقطّعت بعد الكلالِ خدامُها [٢]

فلها هِبابٌ في الزمام ، كأنّها   صهباءُ خفَّ مع الجنوب جَهامُها . [٣]

تشبيهها بالاتان الوحشية

ثم شبهها ، في سرعة ركضها ، بالاتان الوحشية التي تلجأ الى الجبال في الشتاء ، حتى اذا جاء الصيف نزلت تشرب مع حمار الوحش .

فتوسّطا عُرضَ السريِّ ، وصدّعا   مسجورةً متجاوراً قُلّامُها [٤]

بجميل اوفر مما يظهره ، اما اذا زاغت مودته وترك الاستقامة فتكون قطيعته حاضرة لديك فاقطعه

١) بطليحٍ : الباء متعلقة بـ «فاقطع» . الطليح : صفة الناقة التي اتعبها السير واضعفها . احنقَ : ضعف — المعنى : انت قادر على قطيعة من ترك سبيل الاستقامة من اودّائك ، بان ترحل على ناقة اعيتها الاسفار ، فلم تترك منها الا بقية ، وقد ضمر ظهرها وسنامها .

٢) تعالى لحمها : ارتفع الى رؤوس العظام . تحسّرت : صارت حسيراً اي عارية عن اللحم . الخِدام : ج . خَدَمة : سير من جلد يُشدّ الى ارساغ الابل . — المعنى : اذا تعبت هذه الناقة فهزلت حتى تجمع لحمها في رؤوس العظام فبدت عارية من اللحم ، وتقطّعت سيورها

٣) الهِباب : النشاط . الصهباء : صفة للسحابة المحمرّة . خفّ : اسرع . الجَهام : السحاب الذي لا ماء فيه او اهرق ماءه — المعنى : عند ذلك ، اي على الرغم من التعب ، يكون لهذه الناقة نشاط عجيب فانها تسرع كما تُسرع السحابة الحمراء التي لا ماء فيها ، وهي تكون اخفّ من غيرها

٤) توسّطا : صارا في الوسط والضمير للاتان والحمار . العُرض : الناحية . السريّ : النهر الصغير . صدّعا : فرّقا . مسجورة : مملوءة وهي صفة للعين المحذوفة .

٣٥ محفوفةً ، وسط اليراعِ ، يُظلّها منه مُصرَّعُ غـابةٍ وقيامُهـا (١)

تشبيهها بالبقرة الوحشية التي افترس السبع ولدها

أفتِلكَ ! ام وحشية مسبوعةٌ خذلت ، وهاديةُ الصِوار قوامُها ! (٢)

خنساء ، ضيّعت الفَريرَ ، فلم ترِمْ عُرضَ الشقائق ، طَوفُها وبُغامُها (٣)

لمعفّرٍ قَهْدٍ تنـازع شِلْوَه غُبْسٌ كواسبُ لا يُمَنُّ طعامُهـا (٤)

القُلّام : نبات يكون على الانهار . — المعنى : خاض الحمار والاتان النهر الصغير حتى وسطه فشقّقا نبات عين ملآنة وكان متجاوراً لان العين لم تكن وُردت بعد فلم يُفرّق نباتها

١) محفوفة : محاطة والضمير العين المورودة . اليراع : القصب . المصرّع : الساقط على الارض . — المعنى : ان تلك العين التي ورداها محاطة بضروب النبات يظلّها من القصب ما تساقط منه على الارض وما بقي قائماً ، يريد ان تلك الظلال كانت تمكّن الصياد من ان يختفي فيها ، ولكنهما لم يباليا بالامر لشدة عطشهما .

٢) وحشية : اي بقرة وحشية . مسبوعة : اصابها السباع بافتراس ولدهـا . خذلت : تركت . الهادية : المتقدّمة والمتقدّم . الصوار : قطيع البقر — المعنى : افتلك الاتان تشبه ناقتي ام بقرة وحشية تركت ولدها وذهبت ترعى مع صواحبها واتكالها على الفحل الذي يتقدّم القطيع . فافترست السباع ولدها ، فاسرعت في السير تطلبه .

٣) الخنساء : صفة من الخَنَس : تأخر ارنبـة الانف ، والبقر كلها خنس . الفرير : ولد البقرة الوحشية جمعه فِرار . لم ترِم : لم تبرح . الشقائق : ج. شقيقة : ارض غليظة . الطوف : الطواف ، الجَوَلان . البُغام : صوت رقيق . — المعنى : لما ضيعت تلك البقرة الخنساء ولدها لم تبرح تفتش عنه في اعالي الارض الصلبة تجول وتصيح .

٤) المعفّر : الملقى على التراب ، وهي صفة للولد . قَهْد : ابيض . تنازع : تجاذب الشِلْو : العضو وبقية الجسد جمعه : اشلاء غُبس : ج. أغبس وهو الذي لونه كلون الرماد ، صفة للذئب المحذوف . لا يمنّ : لا يُقطع . — المعنى : انها تطوف وتصيح من اجل ولد ابيض ملقى على الارض وقد تجاذبت اعضاءه ذئاب بلون الرمـاد لا يقطع طعامها ، اي لا تفتأ تصيد فتكسب ما تأكله .

صادفنَ منها غِرّةً فاصبنهــا · ان المنايا لا تطيش سهامُهــا ! [1]

٤٠ باتت ، وأسبل واكفٌ من ديمةٍ يُروي الخمائلَ دائمًا تسجامُهــا [2]

يعلو طريقة مَتْنِهــا ، متواترًا ، في ليلة كفر النجومَ غمامُها · [3]

تجتاف أصــلًا قــالصاً متنبذًا بعُجُوب أنقــاءٍ يميــل هَيامُها [4]

وتُضيءُ في وجه الظلام ، منيرةً ، كجُمانة البحريّ سُلَّ نِظامُهــا [5]

---

١) الغِرّة : الغفلة . لا تطيش : لا تخطئ — اي صادفت الذئاب غفلة من البقرة على ولدها فاصبنها بافتراسه . ثم اتبع القول بحكمة قائلًا ان سهام الموت لا تخطئ ابدًا .

٢) أسبل : اسال . الواكف : المطر . الديمة : المطرة التي تدوم نصف يوم على الاقل . الخمائل : ج . خميلة : كل رملة ذات نبات . التَّسجام : الصبّ . — اي باتت البقرة ، بعد فقد ولدها ، في مطر دائم الهطلان .

٣) طريقة المتن : خطّ ظهرها من الحارك الى الكفل . كفر : غطّى — ان هذا المطر الصيّب يعلو ظهر البقرة متتابعاً او متقطعاً في ليلة مظلمة سترت غيومها النجوم

٤) تجتاف : تدخل في جوف ، والضمير للبقرة . اصلًا : اي جـذع شجرة . قالصاً : مرتفع الفروع . متنبّذًا : متنحياً . العجوب : م . عَجْب : اصل الذنب والمراد هنا اطراف الرمال . الانقاء : ج . نَقا : الكثيب من الرمل . الهَيام : الرمل الذي لا يزال ينهال ولا يتماسك . — المعنى : ان هذه البقرة تستتر في جوف اصل شجرة مرتفعة الاغصان ولكنها متفرقة . بعيدة عن سائر الاشجار ، وقد وقعت في كثيب من الرمل ينهال ولا يتماسك . — وفي شرح التبريزي ذكر هذا البيت قبل الحادي والاربعين ، وكذلك ورد في شرح الزوزني طبعة دي ساسي . اما في طبعة ابي صعب لشرح الزوزني فورد البيتان بالترتيب الذي اوردناهما به ، ونراه اصحّ .

٥) وجه الظلام : اوله . النظام : الخيط . — يقول : وتضيء هذه البقرة في اول الظلام كما تضيء درّة الصدف وقد سحب البحريّ خيطها . — شبهها بالدرة لانها بيضاء اللون . قال الزوزني : وانما خصّ ما يُسلّ نظامها اشارة الى انها تعدو ولا تستقرّ

حتى اذا انحسر الظلامُ ، وأسفرت ، بـكرت تزِلّ عن الثرى أزلامُها [١]

٤٥ عَلِهت تَرَدَّدُ في نِهاء «صُعائدٍ» سبعاً تُؤاماً كاملًا أيامُها [٢]

حتّى اذا يَئِست ، وأَسحقَ حالقٌ لم يُبلِهِ إرضاعُها وفِطامُها ، [٣]

فتوجّست رِزَّ الانيس ، فراعها عن ظهرغيبٍ ، والانيسُ سقامُها ؛ [٤]

فغدت ، كلا الفرْجَين تحسب أنه مولى المخافة : خلفُها وأمامُها [٥]

حتى اذا يئس الرماةُ ، وأرسلوا غُضُفاً دواجن قافلًا اعصامُها ، [٦]

---

١) أسفرت : دخلت في الاسفار : الاضاءة اي الصباح . أزلامها : قوائمها .

٢) عَلِهت : من العله وهو بمعنى الهلع : الخفة من جزع . تردّد : اي تتردّد وفي شرح التبريزي : تبلّد : تتحيّر . نِهاء : ج . نِهي : الغدير . صُعائد : اسم مكان . تُؤام : ج . تَوأم . المعنى : بقيت حائرة جازعة تتردّد في غدران صُعائد مدة سبع ليال تؤام اي بأيّامها .

٣) أَسحقَ : أخلق . الحالِق : الضرع الممتلِئ — المعنى : حتى اذا يئست البقرة من ولدها وجفَّ ضرعها بعد ان كان ممتلئاً ، ولم يجفّه انها ارضعت وفطمت بل انها فقدت ولدها وتركت علفها ، فجفّ .

٤) توجّست : تسمّعت الصوت الخفي . الرزّ : الصوت الخفيّ . الانيس : الناس . راعها : افزعها . عن ظهر غيب : اي انها لم ترَ اصحاب الصوت . — المعنى : سمعت البقرة صوت الناس فخافت ، ولم ترَهم ، وحقّ لها ان تخاف لان الناس سبب هلاكها بتصيّدهم اياها .

٥) الفَرْجين : الفَرْج : ما بين قوائم الدواب . مولى . قال ثعلب : المولى هنا بمعنى الأَولى . — المعنى : ان هذه البقرة حارت في معرفة الناحية التي يأتيها منها الخطر فاصبحت لا تدري ايًّا من جهتيها اولى بالمخافة ، فهي لا تعرف صاحب الصوت هل هو امامها ام وراءها .

٦) الغُضف : ج . الاغضف : الكلب المسترخي الاذن . دواجن : اي معوّدة الصيد . قافلًا : يابساً . اعصام : ج . عصام : سير من جلد في عنق الكلب . — المعنى : فلما يئس الرماة من ان ينالوها بسهامهم ، ارسلوا عليها كلاباً اعتادت الصيد ،

٥٠ فلحقن ، واعتكرت لها مَدَرِيَّةٌ . كالسمهريّة حدُّها وتمامُها ، [١]

لتذودَهنّ . وأيقنت ، إن لم تذُد ، أن قد أَحمّ مع الحتوف حِمامُها . [٢]

فتقصّدت منها كَسابِ ، فضُرّجت بدمٍ ، وغودر في المكرّ سُخامُها . [٣]

فبتلك ، اذ رقص اللوامعُ بالضحى واجتاب اردية السراب إكامُها ، [٤]

أقضي اللبانة ، لا افرّط ريبةً أو ان يلومَ بحاجةٍ لوّامُها . [٥]

العودة الى ذكر نوار — وصف اباته

٥٥ او لم تكن تدري نَوارُ بأنني وصّالُ عَقدِ حبائلٍ جذّامُها ! [٦]

قلائد أعناقها يابسة — فتكون أرسلوا جواب حتى — وتكون الواو زائدة . اما من لا يجيز زيادة الواو فيقول : الاصل : « حتى اذا يئس الرماة تركوا رميهم وارسلوا . . . » ثم حذف هذا لعلم السامع به .

١) فلحقن : الضمير للكلاب . اعتكرت : رجعت وعطفت . المَدَرِيّة : طرف القرن . السمهريّة : الرمح — المعنى لحقت الكلاب البقرة فارتدّت هذه عليها تطعنها بقرن كأنه الرمح حدًّا وطولًا .

٢) لتذودهنّ : لتطردهنّ ، واللام متعلقة بـ « اعتكرت » في البيت السابق . أحمّ : حضر ، حان ، قرب .

٣) تقصّدت : قصدت . كساب : اسم كلبة ، مبني على الكسر . المكرّ ، محل الكرّ . سُخام : اسم كلب ، والهاء عائدة للكلاب . — المعنى : ان هذه البقرة قصدت من الكلاب كلبة اسمها كساب فطعنتها بقرنها وتركتها غائصة بدمائها ، ثم مالت على كلب آخر اسمه سُخام ، فالقته في مجال الكرّ .

٤) فبتلك : اي فبتلك الناقة الموصوفة في ما تقدّم . اللوامع : ج . لامعة : الارض التي تلمع بالسراب . اجتاب : لبس . الإكام : ج . أكمة : المكان المرتفع .

٥) اقضي : متعلقة بـ « فبتلك » . اللبانة : الحاجة . لا افرّط : لا اقصّر . — المعنى : بتلك الناقة اقضي حاجتي في حرّ الهواجر ، فلا اقصّر في ذلك ، ولكن لا يمكني الاحتراز من لوم اللوّام . — فتكون « أو أن يلومَ » بمعنى « إلّا ان يلومَ »

٦) الحبائل : ج . الحِبالة وهي مستعارة للمودّة . جذّام : قطّاع — او لم تكن

تَرّاكُ امكنةٍ ، اذا لم أرضها ، او يعتلقْ بعضَ النفوس ِحمامُها . [1]

وصف لهوه : شربه للخمر

بل انتِ لا تدرين كم من ليلةٍ طلق ، لذيذٍ لهوُهــا ونِدامُها [2]

قد بتُّ سامرَها ، وغايةِ تاجرٍ وافيت ، اذ رُفعت وعزّ مدامُها [3]

أُغلي السِباء بكل ادكن عاتقٍ او جَونةٍ قُدحت وفُضَّ ختامُها [4]

٦٠ وغداةِ ريحٍ قد وَزَعتُ ، وقِرّةٍ قد اصبحت بيَد الشمال زمامُها ، [5]

بصبوح صافيةٍ ، وجذب كَرينةٍ بمُوتّرٍ تأتالُــه ابهامُها ، [6]

باكرت حاجتها الدجاجَ بسحرةٍ ، لأُعلّ منها ، حين هبَّ نيامُها . [7]

تعلم نوار اني اصل من يستحقّ الصلة واقطع من يستحقّ القطيعة .

١) يعتلقْ : يرتبط . – اني اذا رأيت ما يُكره في ارض تركتها ، تركتها حالًا الا اذا ربط نفسي الموت عن الرحيل . وقد اراد « ببعض النفوس » نفسه هو . وهذا التعبير المبهم في نظر دي ساسي « يلقي مسحة من العظمة والسموّ على ذاك المعنى العادي » . (de Sacy, *Fables de Bidpay*, *p. 135 (note)*) .

٢) انت : يخاطب نوار . ليلة طلق : ليس فيها حرّ ولا برد . الندام : المنادمة

٣) سامرها : يعني سامرًا فيها اي متحدّثًا . الغاية : الراية ينصبها الخمّار ليُعرف موضعه . والتاجر : الخمّار . — المعنى : كم من ليلة سهرتها احادث ندامای . وكم من غاية تاجر اتيتها فاشتريت خمرة غالية عزيزة الوجود .

٤) السِباء : شراء الخمر . ادكن : اغبر ، صفة للزق المحذوف . الجَونة : السوداء ، صفة للخابية المحذوفة .

٥) وزعت : كففت ، رددت ، ويروى : كشفت . القِرّة : البرد . بيد الشمال : اي ريحها شمالية .

٦) الصبوح : الشرب في الصباح وهي متعلّقة بوَزَعت . الكرينة : المرأة التي تضرب على الكران : نوع من العيدان . الموتّر : ذو الاوتار . تأتاله : تصلحه .

٧) باكرت : متعدّ ، اي سبقت الدجاج باكرًا ، اي شربت قبل صياح الديك . اعلّ : اشرب للمرّة الثانية .

ثم يصف الشاعر بطشه في الحرب ، وسرعة جواده . ويشير الى مناظرة حصلت بينه وبين الربيع بن زياد في مجلس النعمان على قول بعض الشرّاح ، على ان هذه الحادثة غير واضحة في المعلقة . ثم يصف كرمه ونحره للجزور، وينتهي الى الفخر بقومهِ وذكر مآثرهم فيقول :

إنّا ، اذا التقت المجامع ، لم يزل ... منّا لِزازُ عظيمةٍ جشّامُها ، (١)

ومقسّمٌ يعطي العشــيرة حقّها ، ... ومُغَذمِرٌ لحقوقها هضّامُها (٢)

٨٠ فضلًا ، وذو كرمٍ يُعين على الندى ... سمحٌ ، كسوبُ رغائبٍ غنّامُها (٣)

من معشر سنّت لهم آباؤهم ، ... ولكل قومٍ سنّــةٌ وإمامُها !

لا يطبعون ، ولا تبور فعالهم ، ... اذ لا تميل مع الهوى احلامُها . (٤)

فاقنعْ بما قسم المليكُ ؛ فانما ... قسم الخلائق بيننا علّامُها (٥)

واذا الامانة قُسّمت في معشرٍ ، ... اوفى بأوفر حظّنا قسّامُها ،

٨٥ فبنى لنا بيتاً رفيعاً سَمْــكُهُ ، ... فسما اليــهِ كهلها وغُلامُها . (٦)

---

١) اللِزاز : الذي يلزم الشيء ويعتمد عليهِ للقيام بهِ . الجشّام : المتكلّف الامور – المعنى : اذا اجتمعت القبائل لم تخلُ مجامعهم من رجل منّا قادر على رفع العظائم يتكلّف القيام بها عن الناس .

٢) مقسّم : معطوف على لِزاز . المُغذمِر : الذي يضرب بعض حقوق الناس ببعض فيأخذ من هذا ويعطي هذا ، فلا يُعصى ولا يردّ قوله . والهضّام : الذي ينقص قوماً ويُعطي قوماً بتدبير ، وقد وُثق به في ذلك فيكون على نحو الاول

٣) فضلًا : متعلق بالبيت السابق ، اي يفعل ذلك رغبةً في الفضل . ذو كرم : معطوف على لِزازٍ .

٤) لا يطبعون : لا تدنس اعراضهم . لا تبور : لا تفسد . الاحلام : العقول .

٥) الخلائق : الاخلاق الحسنة . المليك والعلّام : اي الله سبحانه .

٦) سمك البيت : سقفه . سما : ارتفع .

فهمُ السُعاة، اذا العشيرة أُفظِعت ؛ وهمُ فوارسها، وهمْ حكّامُها، [١]

وهمُ ربيعٌ للمجاور فيهم ، والمُرمِلاتِ، اذا تطاول عامُها ، [٢]

وهمُ العشيرة أن يُبطّيءَ حاسدٌ أو ان يميل مع العدوّ لئامُها ! [٣]

مآخذ

يُضاف الى ما ذكر سابقًا في مآخذ الشعر الجاهلي ، وامرئ القيس ، وطرفة :

ديوان لبيد العامري ، رواية الطوسي – بحسب النسخة الموجودة عند طابعه الشيخ يوسف ضياء الدين الخالدي المقدسي – فينا ١٨٨٠ – ويليه طبعة بروكلمن للقسم الثاني ، مع الترجمة الألمانية – ليدن ١٨٩١

القرشي : جمهرة اشعار العرب – مصر ١٩١١ – ص ٦٤

ابن قتيبة : الشعر والشعراء – de Goeje – ليدن ١٩٠٤ ، ص ١٤٨

ابو الفرج الاصبهاني : كتاب الاغاني – بولاق ١٨٦٨ – ١٤ : ٩٠

محمد بدر الدين العلوي : معلّقة لبيد بن ربيعة العامري [الزهراء ٤ : ٤٧]

محمد بهجة الاثري : تحقيق تاريخي [الزهراء ٤: ٢٧٥]

Brockelmann, *Labid.* [*Encycl. de l'Islam.*]

---

١) أُفظِعت : أُصيبت بأمر فظيع. السُعاة : اي الذين يسعون في اصلاح الحال.

٢) ربيع : كناية عن كرمهم . المُرمِلات : النساء اللواتي مات ازواجهنَّ فافتقرن . وقال : تطاول عامها : كناية عن شدَّة ضيقهنَّ وانتظارهنَّ للفرج فهنَّ يحسبن العام طويلًا .

٣) ان يبطّيء : ان ينسبهم الى البطء او ان يسعى في تأخيرهم عن مساعدة بعضهم بعضًا . — المعنى ، على ما يُستخلص من آراء الشراح المتضاربة ، انهم يتفقون عصبةً واحدة حتى لا يبطيء الحاسد بعضهم عن نصرة بعض ، وحتى يمنعوا لئامهم ان يميلوا الى الاعداء . وقد ذكر التبريزي الشطر الاخير على هذه الصورة :

او ان يلوم ، مع العدى ، لوّامها !

رأي الاستاذ سامي الكيالي

« الحق انه مجهود عظيم جدًا هـذا الذي توفر له الاديب الفاضل الاستاذ فؤاد افرام البستاني باخراج هذه السلسلة الضخمة التي ضمت دراسات قيّمة ومنتخبات مختارة لاكابر شعراء العرب المبرزين وادبائهم الممتازين . صدرت « الروائع » اول ما صدرت اجزاء متفرقة في مدد متفاوتة ما كان يظن ان الاستاذ سيمضي بعمله الى ان تصبح فى يوم قريب ثروة ثمينة وقنية غالية في ادبنا العربي لا يستغني عنها الطالب والمتأدب والاديب . ورغم مـا في ادبنا العربي من فيض وقوة فان كتبه القديمة مشوشة مضطربة تحتاج الى هذه الايادي المنسّقة والعقول الخصبة المفكرة التي نعمت بادب الغرب وتذوقت جماله لتتولّى تنظيم ادبنا وتصنيفـه على طراز اداب الامم الحيّة . ولا شك ان الاستاذ البستاني كان في طليعة شبابنا المثقّف الذي انتهى الى هذا العمل المثمر المنتج فخدم الآداب العربية خدمة غير منكورة ومهّد لناشئتنا اقرب السبل لدراسة الادب العربي ، بل مهّد لهم ان يذوقوا جماله ويستطيبوا روائعه وان لا ينفروا منه الى غيره من الاداب . وقـد اصدر للآن ما يقرب من اربعين جزءًا كلهـا طريف مفيد ونتيجة درس وبحث وفهم . والاستاذ ماض في عمله الـذي سينتهي به الى اتمام دراساته عن اظهر ادباء العربية وشعرائها قديمـاً وحديثاً . فنشكر للاديب المفكر عمله ونقـدر له جهده الموفق وننصح كل محب للادب ان لا يفوته اقتناء هذه المجموعة المفيدة . »

الحديث ، حلب ، تموز ١٩٣٤ ، ص ٤٥٣

الروائع

سلسلة ابحاث في الادب ، ومنتخبات من اشهر اعلامه

السلسلة الثالثة

ظهرت كلها

في النثر

٢٢ — المعلم بطرس البستاني : خطابان : تعليم النساء — آداب العرب

٢٣ — ولي الدين يكن : فصول منتخبة

في الشعر

٢١ — الشيخ ناصيف اليازجي : منتخبات شعرية

٢٤ — طرفة ولبيد : المعلقتان

٢٥ — زهير بن ابي سلمى : منتخبات شعرية

٢٦ — عمرو بن كلثوم ، والحرث بن حلزة : الم

٢٧ — عنترة : منتخبات شعرية

٢٨ — الخنساء : منتخبات شعري

٢٩ — الحطيئة : منتخبات شعري

٣٠ — النابغة : منتخبات شعرية